أدب النديم

تأليف

أبى الفتح محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك

الكاتب المعروف بكشاجم (ت ٣٦٠ هـ)

دراسة وشرح وتحقيق

الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان

أستاذ الأدب والنقد

بكلية البنات الإسلامية

جامعة الأزهر

أدب النديم

تأليف

أبي الفتح محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك

الكاتب المعروف بكشاجم (ت ٣٦٠ هـ)



دراسة وشرح وتحقيق

الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان

أستاذ الأدب والنقد

بكلية البنات الإسلامية

جامعة الأزهر

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٧ م

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الدراسة

آثرت أن تشتمل هذه الدراسة على قسمين يتصل كل منهما بالآخر اتصالا وثيقا ، ولكن نظام البحث العلمى يقتضى فصلهما ، وإن كانا فى النهاية متصلين ، وسوف يرى القارىء المتأنى أن القسم الأول كالمقدمة لنتيجة هى القسم الثانى ، كما سيرى أن القسم الثانى الذى هو نتيجة يحتاج فى معرفته إلى القسم الأول الذى هو كالمقدمة ، ومن هنا فالربط بينهما واجب ، وإن كان الفصل بينهما من مقتضيات البحث العلمى .

وآثرت أيضا أن يكون القسم الأول مشتملا على جوانب محددة هى :

١ — حلب عاصمة الحمدانيين .

وهذا العنوان يندرج تحته جزئيات تتكون من مجموعها صورة كاملة لهذه العاصمة التى دخلت التاريخ ، ولن تخرج منه .

وهذه الجزئيات هى : تاريخها وأصل تسميتها — خضوعها للحكم الإسلامى ، ومكانتها فيه — استيلاء الحمدانيين عليها وتكوين دولتهم فيها .

٢ — قيام الدولة الحمدانية

وهذا العنوان يقتضى منا دراسة الظروف السياسية التى أدت إلى ظهور هذه الإمارة الإسلامية وغيرها من الإمارات فى شرق العالم الإسلامى ومغربه .

٣ — الحالة الاجتماعية فى القرن الرابع بعامة وفى الدولة الحمدانية بخاصة ، وانعكاس هذه الحالة على الاتجاهات الأدبية والفكرية .

ويكون القسم الثانى مشتملا على النقاط الآتية :

١ — كشاجم : التعريف به ، وتوضيح مكانته الأدبية .

٢ — التعريف بكتاب أدب النديم ، وعرض موجز لأبوابه .

٣ — التعريف بنسخ الكتاب .

* * *

القسم الأول

١ – حلب عاصمة الحمدانيين

(أ) تاريخها وأصل تسميتها :

حلب هي إحدى المدن التي تضرب بجذور عميقة في أرض الزمن ، وفي مثل هذه الحالة يجد الإنسان نفسه يمسك بأقرب جذر من هذه الجذور ليبني عليه حكمه الذي يريد له أن يكون قريبا من الصواب إن لم يكنه ، وفي مثل هذه الحالة أيضا تنبني الأحكام أو أكثرها على الحدس الذي يمسك في بعض نواحيه ببعض أجزاء من الحقيقة .

وإذا أردنا أن نعرف التاريخ القديم لهذه المدينة فإنه يكون من الملازم لنا أن نعرف سر تسميتها بهذا الاسم دون غيره ، ولا يظن ظان أن التاريخ غير التسمية لأننا في هذه الحالة وما يشبهها نرى أن التاريخ هو التسمية، وبدايته تكون منذ إطلاق هذه التسمية على تلك البقعة ، وأيضا يجب أن نعرف هنا أن هذه التسمية ليست أمرا صادقا كل الصدق ، كما أنها ليست أمرا كاذبا كل الكذب ، ولكنها تجمع من الجانبين ما يمكن أن يقربنا من الغرض ، وإن كان لا يضعنا أمامه ، أو لا يضعه أمامنا ، وإن كان لا يحرمنا في كل الأحوال من تصور ما يمكن أن يكون دلالة على الأمر ، أو صورة غير واضحة المعالم ، وإن كانت على كل الأحوال أحسن من عدم وجودها .

والذي يقرأ ما كتبه المحدثون عن هذه التسمية التي هي حقيقة الوجود التاريخي لهذه المدينة يرى أن هذه الكتابات مؤسسة على كتاباتنا نحن المسلمين في عصور سابقة كان لنا فيها الريادة وحمل الراية ، وكانت كلمتنا فيها مسموعة بحيث إذا تكلمنا صمت كل المتحدثين من ذوي الألسن المعوجة ، ولكننا الآن لا نأخذ تاريخنا ولغتنا إلا من هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يقيموا جملة عربية صحيحة ، ورحم الله أياماً كان العرب يأخذون فيها

لغتهم من البادية التي لم تختلط فيها الألسن بغيرها ، ولعنة الله على ظروف تنسينا ذلك وتجعلنا نأخذ لغتنا — وإن شئت فقل أصول ديننا — من أبناء يهود ، أو ممن تتلمذوا على أيديهم ، وهم — مهما تذرعوا بالبحث العلمي واختفوا وراء تلك الراية — لن يكونوا أكثر منا حرصا على تاريخنا ولغتنا وديننا من التشويه والتحريف والتضييع .

من هذا المنطلق — وإن شئت فأضف إليه التعصب لما نقوله عن أنفسنا ، لا ما يقوله غيرنا عنا — أجدني مستريحا إلى أن أولى وجهي نحو تراثنا أستخرج كنوزه ، ويكون هو مقصدي الأول في البحث ، فإن جاء شيء مما قال الأعاجم بعد ذلك فإنما يكون بمثابة تأكيد لما قلته من أنهم على مائدتنا يعيشون ، ولكنهم يمتازون عنا بأنهم يزينون ما يقولون ، أو يعرضون بضاعتهم عرضا جيدا .

وفي سبب تسمية هذه البقعة باسم حلب : يذكر لنا ياقوت رأيين لا يخلوان من الحقيقة أو جزء منها فيقول(١) في الأول : « قال الزجاجي : سميت حلب لأن ابراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه في الجمعات ، ويتصدق به ، فيقول الفقراء : حلب حلب فسمي به » .

ولكنه يعترض على هذه التسمية ، ويحاول إيجاد مخرج للاعتراض فيقول (٢) : « قلت أنا : وهذا فيه نظر ؛ لأن ابراهيم عليه السلام وأهل الشام في أيامه لم يكونوا عربا ، إنما العربية في ولد ابنه اسماعيل عليه السلام ، وقحطان ، على أن لإبراهيم في قلعة حلب مقامين يزاران إلى الآن ، فإن كان لهذه اللفظة أعني حلب أصل في العبرانية أو السريانية لجاز ذلك ؛ لأن كثيرا من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقه إلا بعجمة يسيرة » .

واعتراض ياقوت على هذه التسمية وجيه كل الوجاهة ، ومحاولته الخروج من مأزق الاعتراض أكثر وجاهة ، لأنه علق اقتناعه بالتسمية

(١) انظر في معجم البلدان (حلب) ، وصبح الأعشى ٤/١١٦ .
(٢) معجم البلدان (حلب) .

إذا كانت هناك دلالات لفظية غير عربية توافق الدلالة العربية للتسمية .

وقد أكدت الدراسات التى أجريت على النصوص البابلية والآثار الأشورية والنقوش المصرية وجود مملكة صغيرة خاضعة لملك الحيثيين باسم «حلبو» ، وقد وقعت فى هذه المدينة حروب بين ملوك مصر من الفراعنة ، وملوك «حلبو» من الحيثيين ، وقد انتهت هذه الحروب بمعاهدات ود وصداقة بين الجانبين .(١)

وقد تغير هذا الاسم «حلبو» فى عصور مختلفة فصار «حلوان» أيام الأشوريين و «بيروا» أيام اليونانيين والرومانيين وهذا الاسم «بيروا» يذكره ياقوت «باروا» ثم عادت إلى اسمها أيام الفرس ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف فى التسمية فإنها رجعت إلى التسمية الآرامية «خلب» وإلى التسمية العربية «حلب» (٢) .

وعلى هذا فإن إطلاق اسم «حلب» على هذه البقعة بسبب ما كان يقوله الفقراء عندما يسمعون الخليل ابراهيم عليه السلام وهو يحلب بقرته فيه شيء من الصحة .

ويقول ياقوت فى الثانى(٣) : « وقال قوم : إن حلب وحمص وبرذعة كانوا إخوة من بنى عمليق فبنى كل واحد منهم مدينة فسميت به . . . ويقال : إن لهم بقية فى العرب لأنهم كانوا قد اختلطوا بهم ، ومنهم الزباء ، فعلى هذا يصح أن يكون أهل هذه المدينة كانوا يتكلمون بالعربية فيقولون «حلب» إذا حلب ابراهيم عليه السلام» ، وذكر فى موضع آخر أنها سميت بهذا الاسم لأنه « لما ملك بلقورس الأشورى الموصل وقصبتها يومئذ نينوى كان المستولى على خطة قنسرين حلب بن المهر أحد بنى الجان بن مكنف من العماليق ، فاختط مدينة سميت به » .

---

(١) انظر كتاب محاضرات عن الحركة الأدبية فى حلب ص ٨ للدكتور سامى الكيالى ، وكتاب سيف الدولة وعصر الحمدانيين له أيضا ص ٥٤ .

(٢) سيف الدولة وعصر الحمدانيين ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) معجم البلدان (حلب) ، وقريب من هذا فى صبح الأعشى ٤/١١٦ .

وفى هذا الذى يذكره هنا أيضا جانب كبير من الصحة لا يستطيع العقل قبوله كله ولا رفضه كله وإن كان يمكن التوفيق بين سبب التسميتين بأن يكون الذى بناها اسمه «حلب» ، وأن يكون الفقراء قد قالوا عند سماعهم فعل ابراهيم عليه السلام «حلب» فيكون هناك تطابق عن طريق المصادفة بين الحدث الذى وقع من ابراهيم وبين تسمية المدينة ، ولا يهمنا هنا من يكون السابق فى التسمية .

والحق أن ياقوتا طوف كثيرا فى حديثه عن هذه المدينة فذكر تاريخها من حيث تسميتها كما ذكر ما ابتليت به على مر العصور ، وذكر أيضا أجزاءها وجوانب أسوارها وأبوابها ومياهها .

وقد استهل حديثه عن حلب بقوله : « مدينة عظيمة واسعة ، كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، صحيحة الأديم والماء ، وهى قصبة جند قنسرين فى أيامنا هذه » .

وختم حديثه عن حلب بما قاله شاعرنا كشاجم فقال : « وقال كشاجم » :

أرتك ندى الغيث آثارها ⠀⠀ وأخرجت الأرض أزهارها
وما أمتعت جارها بلدة ⠀⠀ كما أمتعت حلب جارها
هى الخلد يجمع ما تشتهى ⠀⠀ فزرها فطوبى لمن زارها

* * *

(ب) خضوعها للإسلام ومكانتها فيه :

قد لا يعجب بعض القراء هذا العنوان ، انطلاقا من مبدأ أن هذا العنوان قد يجر علينا مشاكل كثيرة من حيث اتهامات المستشرقين وأتباعهم للإسلام بأنه فرض نفسه بالقوة على الأرض التى خضعت له ، وهل فى ذلك عيب ؟ إن للشمس تفرض نفسها على الأرض بقوتها ولا يضيرها أن يصاب بعض المتعرضين لها بضربات شمس قد تقضى عليهم ، وقد يشفون منها ، ولكنها فى كل الأحوال تسطع وتنفع الناس فى معيشتهم وإن كانوا لا يستطيعون

النظر إليها ، لأنها ستأخذ أبصارهم التي لم تؤهل لهذا النظر ، وإنما خلقت فقط لتنظر في أثر الضوء وليس في مصدره .

ورحم الله أديبنا الزيات الذي قال (١) : « الإسلام دين القوة ، وهل في ذلك شك ؟ شارعه الجبار ذو القوة المتين ، ومبلغه محمد الصبار ذو العزيمة الأمين ، وكتابه هو القرآن الذي تحدى كل إنسان وأعجز ، ولسانه هو العربي الذي أخرس كل لسان وأبان ، وقواده الخالديون هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيصر ، وخلفاؤه العمريون هم الذين رفعوا عروشهم على نواصي الشرق والغرب ، فمن لم يكن قوي البأس قوي النفس ، قوي الإرادة ، قوي العلة ، كان مسلما من غير إسلام ، وعربيا من غير عروبة » .

وقد عرضت على نفسي أن يكون العنوان « حلب والإسلام » ولكنني وجدت من نفسي إصرارا على العنوان الذي ذكرته ؛ لأن أحداث التاريخ تؤيده وتدفع النفس إلى الزيادة في الإصرار والتمادي فيه ، يقول ابن الأثير (٢) : « لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب ، فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا ، فوجه إليهم السمط الكندي فحصرهم وفتحها ، وأصاب فيها بقرا وغنما ، فقسم بعضه في جيشه ، وجعل بقيته في المغنم ، ووصل أبو عبيدة إلى حاضر حلب ، وهو قريب منها ، فجمع أصنافا من العرب ، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك ، وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري ، فتحصن أهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم ، فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد، وكان الذي صالحهم عياض ، فأجاز أبو عبيدة ذلك ، وقيل : صولحوا على أن يقاسموا منازلهم وكنائسهم .

---

(١) وحي الرسالة ٣/١٣٩ .
(٢) الكامل في التاريخ ٢/٤٩٤ .

وقيل إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية ، وراسلوا فى الصلح ، فلما تم ذلك رجعوا إليها » (١) .

وعلى هذا فإنه يتساوى فى رأيي أن يكون أهلها قد صالحوا قادة الإسلام فى أول الأمر ، أو عادوا إلى حلب بعد الصلح ، فإن الأمر فى الحالين يبين أن هذه الأرض قد خضعت لحكم الإسلام ، أو أن الإسلام ضمها تحت لوائه ، ونشر عليها حمايته .

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن «حلب» قد سيطرت عليها أمم كثيرة مختلفة من حيث اللغة والدين والعادات والدم ، يتمثلون فى الحيثيين والأشوريين والمصريين والبيزنطيين والفرس والعرب ، ولكنها على الرغم من ذلك حافظت على أصولها مع ما اكتسبته من الأمم التى نزلت بها مما جعل لها مناعة خاصة تستطيع بها مواجهة الأحداث (٢) .

لكن الذى يقرأ التاريخ الإسلامى يرى أن «حلب» كانت تضاف دائماً إلى «قنسرين» وتعتبر جزءا من أعمالها ، واستمر ذلك حتى آخر الدولة الأموية ، ثم حدث أن أخذت «حلب» تزدهر وتنمو و «قنسرين» تزوى وتتضاءل ، ثم انقلب الوضع فى أيام الدولة العباسية فأصبحت «قنسرين» تابعة لـ «حلب» وجزءا من أعمالها . (٣)

وفى أيام قوة الدولة العباسية كانت «حلب» إحدى الولايات الإسلامية التى تدين بالولاء للخليفة العباسى فى بغداد ، ولما دب الضعف فى أوصال الدولة العباسية تأرجحت «حلب» فى ولائها ما بين الطولونيين تارة ، والإخشيديين تارة ثم الحمدانيين الذين جعلوا منها عاصمة لدولتهم .

---

(١) وجاء مثل هذا فى تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤/٩٤٠ ، ونهاية الأرب ١٩/١٦٥ .

(٢) انظر سيف الدولة وعصر الحمدانيين ٥٤ .

(٣) انظر بغية الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم ١/١٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٢٣ .

٢ — قيام الدولة الحمدانية

تولى معاوية بن أبى سفيان حكم المسلمين بعد أن تنازل الحسن بن على عن بيعة الناس له ، حقنا لدماء المسلمين ، وجمعا لشتاتهم ، وقد أحس معاوية ومن بعده أن الناس لا يحبونهم ، ولكنهم يطمعون فى المال الذى فى خزائنهم ، فأظهروا لهم الحب ، وأضمروا لهم العداوة ، ويرهبون السيف الذى فى أيديهم فطأطأوا لهم الرءوس ، وأحنوا الهامات ، ولكنهم فى كل الحالات ينتظرون منهم غرة لينقضوا عليهم ، ويزيلوا شأفتهم .

وقد استطاع معاوية ومن بعده أن يعيدوا العرب إلى سابق عهدهم قبل الإسلام من عصبية قبلية مقيتة ، وعصبية للجنس العربى أشد مقتا ، وذكر للثارات وأيام العرب مما يجعل كل قبيلة تنظر لنفسها دون غيرها ، بعد أن كان الإسلام قد صهر كل ذلك وأخرج منه المعدن النفيس للصورة البشرية الرفيعة التى تفخر بالإسلام وتدفع عنه ؛ وبعد أن سوى الإسلام بين الناس جميعا لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ولا بين أبيضهم وأصفرهم وأحمرهم وأسودهم .

وكان من نتيجة تعصبهم للعرب دون غيرهم أن زرعوا بأيديهم البغض فى نفوس غير العرب ، ذلك البغض الذى تحول مع الأيام إلى نار أحرقتهم وذرتهم للريح ، هذا على الرغم من أن غير العرب كانوا — كما سبق القول — يظهرون لهؤلاء القوم غير ما يضمرون ، ولم يكن البيت المروانى أقل تعصبا للعروبة وإذكاء لنارها من البيت السفيانى ، وبالتالى لم يكن الناس أقل عداوة لهم من معاوية ومن بعده .

وجدير بنا أن نسمع القصة التالية لنرى موقف غير العرب من هذا البيت الأموى ، يروى الأصفهانى أنه قد « استأذن إسماعيل بن يسار النسائى على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما ، فحجبه ساعة ثم أذن له ، فدخل يبكى ، فقال له الغمر : مالك يا أبا فائد تبكى ؟ قال : وكيف لا أبكى

وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أحجب عنك ! فجعل الغمر يعتذر إليه وهو يبكي ، فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج من عنده ، فلحقه رجل فقال له : أخبرني ويلك يا إسماعيل ، أي مروانية كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بغضنا إياهم ، امرأته طالق إن لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له : قل : لا إله إلا الله ، فقال : لعن الله مروان ، تقربا بذلك إلى الله تعالى ، وإبدالا له من التوحيد ، وإقامة له مقامه » (١) .

ولم يكن هذا فقط هو السبب في ظهور الشعوبية على اختلافها ، بل إنه يروى أن زياد ابن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشي ألا تقر له العرب بذلك صنع كتاب «المثالب» وعدد نقائص العرب مما دفع الكثيرين إلى الكتابة في مثل هذا الموضوع ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن ألف كتابا في مثالب العرب بدأه بمثالب بني هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب(٢) .

ولنستمع إلى بعض قول أبي عامر بن غرسية الذي أرسله إلى أبي عبد الله ابن الحداد يعاتبه فيه ويفضل العجم على العرب وفيه يقول(٣) : « أحسبك أزريت ، وبهذا الجيل البجيل ازدريت ، وما دريت أنهم الصهب الشهب ، ليسوا بعرب ذوي أينق جرب ، أساورة ، أكاسرة ، مجد ، نجد ، بهم(٤) ، لا رعاة شويهات ولا بهم ، شغلوا بالماذي والمران ، عن رعي البعران ، وبجلب العز عن حلب المعز ، جبابرة قياصرة ، ذوو المغافر والدروع .... » وفيه أيضا يقول : « فلا تهاجر ، بني هاجر ، أنتم أرقاؤنا وعبدتنا ،

---

(١) الأغاني ٤/١٠ ٤١٠ .

(٢) انظر هامش البيان والتبيين ٣/٥ ، وتفسير روح المعاني ١٤٧/٢٦ .

(٣) نوادر المخطوطات المجموعة الثالثة ص ٢٤٦ .

(٤) البهم بضم ففتح جمع بهمة بالضم وهو الفارس لا يدرى من أين يؤتى لشدة بأسه ، والبهم بالتحريك وبالفتح أيضا جمع بهمة وهي للصغير من أولاد الغنم .

وعتقاؤنا وحفدتنا(١) ، مننا عليكم بالعتق وأخرجناكم من ربق الرق ، وألحقناكم بالأحرار ، فغمطتم النعمة ، فصفحنا كم صفحا ، يشارك منعا ، اضطركم إلى سكنى الحجاز ، وألجأكم إلى ذات المجاز » .

وإذا كان هذا قد حدث فى بلاد الأندلس التى حكمها المروانيون ، فإن المشرق العربى كان أساس هذه الشعوبية ، وكان الحكم الأموى والمروانى دافعا لها ، وقد سمع حكامهم مثل هذا من أحد هؤلاء الشعوبيين ، فقد جاء فى الأغانى(٢) « أن اسماعيل بن يسار دخل على هشام فى خلافته وهو بالرصافة جالس على بركة له فى قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحا له ، فأنشده قصيدته التى يفتخر فيها بالعجم :

يا ربع رامة بالعلياء من ريم ... هل ترجعن إذا حييت تسليمى
ما بال حى غدت بزل المطى بهم ... تخدى لغربهم سيرا بتقحيم
كأننى يوم ساروا شارب سلبت ... فؤاده قهوة من خمر داروم

حتى انتهى إلى قوله :

إنى وجدك ما عودى بذى خور ... عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم
أصلى كريم ومجدى لا يقاس به ... ولى لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد أقوام ذوى حسب ... من كل قرم بتاج الملك معموم
جحاجح سادة بلج مرازبة ... جرد عتاق مساميح مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا ... والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا ... وهم أذلوا ملوك الترك والروم

---

(١) الحفدة : الأعوان والخدمة ، واحدهم حافد .
(٢) الأغانى ٤/٤٢٣ هـ . وانظر أيضا ص ٤١١ من الجزء نفسه ففيه موازنة صريحة بين العرب والعجم .

يمشون فى حاق الماذى سابغة ... مشى الضراغمة الأسد اللهاميم
هناك إن تسألى تنبى بأن لنا ... جرثومة قهرت عز الجرائيم

فغضب هشام وقال له : يا عاض بظر أمه ! أعلى تفخر وإياى تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ! ! غطوه فى الماء ، فغطوه فى البركة حتى كادت نفسه تخرج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشر ونفاه من وقته ، فأخرج عن الرصافة منفيا إلى الحجاز » .

وهكذا نراهم قد أشعلوا نار العصبية ضد العرب ، وكانوا أول من احترق بها وتوارثت الأجيال بعدهم حرها ولهيبها .

اجتثت نار العصبية دولة بنى أمية ، وأقام أصحاب هذه العصبية دولة بنى العباس ، ولم ينس العباسيون لهم هذا الفضل ، فأسندوا إليهم الكثير من الأعمال الكبيرة التى كان العرب يستأثرون بها دونهم فى دولة بنى أمية ، مما جعل الصراع يتحول فى هذه الدولة بين الجنس الفارسى الذى أصبح هو المسيطر ، والجنس العربى الذى أبعد ، وكان أكبر مظهر من مظاهر هذا الصراع ما حدث من خلاف بين الأمين والمأمون وانتصار المأمون وقتل الأمين ، فقد نظر العرب على أنهم الذين قتلوا وليس الأمين ، كما أن الفرس نظروا إلى أنهم هم الذين انتصروا وليس المأمون .

ولكن الذى يقرأ تاريخ الدولة العباسية يرى أنه قد ظهر فى تاريخها الطويل جماعات كثيرة من الطامعين فيها أو الطامعين فى أجزاء منها ، وكانت الدولة تتصرف مع هذه الجماعات على حسب ظروفها من حيث القوة أو الضعف ، ومن حيث قربهم من يدها أو بعدهم عنها ، ومن حيث استئصالهم أو مهادنتهم .

فالذى يقرأ الظروف التاريخية الأولى فى حياة الدولة العباسية يرى أن أحد المغامرين وهو أبو مسلم الخراسانى قد أحس من نفسه القوة ، فطلب من الخليفة أبى عبد الله السفاح أن يوليه إمارة الحج — وكان ذلك وقتها

من الأعمال الدينية الكبرى التى لا يقوم بها إلا ذوو الشأن والنظر فى الدولة — فكتب السفاح إلى أخيه المنصور إن أبا مسلم كتب إلى يستأذننى فى الحج ، وقد أذنت له ، وهو يريد منى أن أوليه الموسم ، فاكتب إلى تستأذنى فى الحج فآذن لك ، فإنك إن كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك . ففعل المنصور ما طلبه السفاح ، فحقد أبو مسلم على المنصور لاختياره هذا العام للحج ، ولكنه على الرغم من ذلك كان يتقدم على أبى جعفر ، وقد استطاع أن يكسب طيب الأحدوثة لأنه كان يكسو الأعراب ويصلح الآبار والطريق ، ولما انتهى الموسم تقدم أبو مسلم على أبى جعفر فى الطريق ، فلما كان بالطريق أتاه خبر وفاة السفاح فكتب إلى أبى جعفر يعزيه فى أخيه ولم يهنئه بالخلافة ، وبلغ به الأمر أن شتم أبا جعفر أمام رسوله الذى أرسله إلى أبى مسلم يسأله عن الأموال التى غنمها بعد قتال عبد الله بن على ، وقال : أنا أمين على الدماء خائن فى الأموال ! ولقد وصل به الأمر أن يقول فى إحدى رسائله إلى المنصور : « إنه ليس من أهلك أحد أشد تعظيما لحقك وأصفى نصيحة لك وحرصا على ما يسرك منى » . ولقد أوصلته الدالة إلى أكثر من ذلك فقد طلب من المنصور أن يحبس عبد الجبار بن عبد الرحمن وهو قائد شرطة المنصور والسفاح قبله ، وصالح بن الهيثم وهو أخو أمير المؤمنين من الرضاعة ، وذلك بحجة أنهما يعيبانه ، فلما رفض المنصور هذا الطلب قال أبو مسلم : أراهما آثر عندك منى .

هذا وغيره كثير جعل المنصور يعقد العزم على التخلص من هذا المغامر العنيد ، ولما تم قتله قال المنصور :

اشرب بكأس كنت تسقى بها   أمر فى الحلق من العلقم
زعمت أن الدين لا يقتضى   كذبت فاستوف أبا مجرم (١)

---

(١) انظر فى هذه الحادثة تاريخ الطبرى ، والكامل فى التاريخ فى أحداث عام ١٣٦ ، ١٣٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٨٨-٣٩٢ . انظر البيان والتبيين ٣/٣٦٧ .

وقد فعل الرشيد بالبرامكة(١) ما فعله أبو جعفر بأبى مسلم ؛ وذلك لأن الدولة كانت قوية ، والمطلوب قتله فى متناول يد الخليفة ، ويعتبر قتله من وجهة نظر الخليفة تأمينا للدولة وتثبيتا لأركان الحكم وتأكيدا لهيبة الخليفـــة .

ولكن الرشيد نفسه لم يستطع أن يفعل الذى فعله مع البرامكة مع أحد المغامرين فى غرب المملكة الإسلامية المترامية وهو ابراهيم بن الأغلب ، إذ من المعروف أن العباسيين قد ازدادت مخاوفهم ، لأن حكمهم فى أفريقية بدأ يضعف ويزداد فى الضعف ، وبخاصة بعد موت الوالى العباسى القوى « يزيد بن حاتم المهلبى عام ١٨٠ هـ. (٢)

وقد زالت هذه المخاوف عندما ظهر « ابراهيم بن الأغلب » الذى استطاع أن يعيد للحكم العباسى هيبته فى أفريقية ، وقد وصلت الجرأة بهذا الحاكم القوى أن يطلب من هارون الرشيد جعل ولاية أفريقية له ، وقد وافق الرشيد ، وكتب إليه عهد الولاية .(٣)

فلما ضعفت الدولة العباسية بضعف خلفائها كثر المغامرون فى شرق المملكة وغربها ، حتى أصبح الخلفاء أنفسهم تحت رحمة هؤلاء المغامرين ، وقد ترتب على هذا الضعف ظهور الدويلات الكثيرة ، وكان من هذه الدويلات دولة بنى حمدان .

ولا يظنن ظان أن فى وصف آل حمدان بصفة المغامرين تجاوزا أو اتهاما بلا دليل ، هذا الظن إن وقع فى بعض النفوس فإنما يرجع سببه إلى ما يعرفه الناس جميعا عن مواقف الحمدانيين من حروب الروم ، وإننى مع الناس

---

(١) انظر فى قتل البرامكة أحداث عام ١٨٧ فى الطبرى وابن الأثير ، وانظر تاريخ ابن خلدون ٥/٤٧٢ .

(٢) انظر وفيات الأعيان ٦/٣٢١ .

(٣) انظر الحلة السيراء ١/٩٣ وفى صفحات كثيرة منه ، ٢/٣٨١ ، الكامل فى التاريخ حوادث عام ١٨٤ هـ . ٦/١٥٥ .

جميعا فى إكبار مواقفهم فى حروب الروم بل إننى لا أستطيع إلا أن أحنى رأسى لها إكبارا وإجلالا ، ولكننى أتحدث عن بداية آل حمدان . هذه البداية قد بدأت بظهور حمدان بن حمدون على مسرح الحياةالسياسية فى سنة ٢٥٤ حين استعان به الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمربن الخطاب العدوى التغلبى لمحاربة مساور بن عبد الحميد الخارجى الذى كان قد استولى على أكثر أعمال الموصل ، وقرى أمره فيها .

وقد بدأ نجم حمدان بن حمدون يظهر منذ ذلك الوقت ، بل ويلمع فى كثير من المعارك التى خاضها ، ومن قراءتنا فى تاريخ معاركه لا نجده التزم خطا واحدا ، وإنما نراه اليوم يحارب فى جانب ، ثم نراه غدا يحارب ضد هذا الجانب ، فالحرب لم تكن حرب مبادىء ، ولكنها كانت فى نظرى حرب منفعة ، فهو مع أتباعه يشبه ما يسمى فى العصر الحديث باسم المرتزقة ، فحمدان بن حمدون مرة يحارب فى صف محمد بن إسحاق بن كنداجق ومرة يحارب ضده ، ومع أننا نعرف أن الأسرة الحمدانية لها هوى شيعى إلا أننا نرى حمدان بن حمدون كان يحارب فى جانب هارون الشارى الخارجى . أليس كل هذا دليلا على أن هذا الرجل وأمثاله كانوا من المغامرين ؟ (١) .

لكن المعارك التى خاضها حمدان بن حمدون أثمرت ثمرتها فى عام (٢٩٣ هـ) حين ولى المكتفى بالله أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون على الموصل فكانت هذه السنة بداية أول إمارة لبنى حمدان . (٢)

لكن نجم نجوم بنى حمدان هو سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان ابن حمدون ، وكان هذا الأمير فى أول أمره فى معية أخيه ناصر الدولة ،

---

(١) لمن يريد قراءة التاريخ أحيله على الجزء السابع من تاريخ الكامل لابن الأثير ص ١٨٨ ، ٢٧١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٦٠ ، ٤١٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٧ .
ويراجع أيضا تاريخ ابن خلدون المجلد الثالث ٧٤٨ ، ٨٧٩ ، المجلد الرابع ٤٨٨ — ٥٤٥ ، وتاريخ الطبرى ٩ فى أحداث ٢٥٤ ، ١٠ فى أحداث ٢٧٢ ، ٢٨١ .
(٢) الكامل ٥٣٨/٧ ، تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٤٩٢ .

فمرة نراه فى الموصل ، وأخرى نراه فى واسط ، والمعارك الحربية التى انتدبه لها أخوه جعلته يقوى ويشتد عوده ، حتى طمع فى أن يستقل بإمارة يكون هو أميرها ، ولا يكون تابعا ، وقد اتجه نظره إلى حلب فملكها واستولى عليها عام ٣٣٣ هـ ، وكانت فى تلك الفترة تحت حكم الإخشيديين ، ولم يستطع الإخشيديون الاحتفاظ بها ، وتوجه سيف الدولة بعد ذلك إلى حمص فملكها أيضا ، وطمع سيف الدولة فى الحصول على دمشق ولكنه لم يستطع فتحها ؛ لأن أهلها منعوها منه ، وهكذا استقر أمر سيف الدولة فى حلب وما جاورها (١) . واستمر فى حروب طاحنة بينه وبين الروم تارة ، وبينه وبين الخارجين عليه تارة أخرى حتى انتهى أجله عام ٣٥٦ هـ .

---

(١) الكامل ٨/٤٤٥ ، تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٥٠٣ .

٣ — الحالة الاجتماعية وأثرها فى الحياة العامة

لا نستطيع أن نفصل هذا القرن عن القرن الثالث ، ولا أن نقول إن الصفات التى اتسم بها هذا العصر وليدة ساعتها ، وإنما الذى يجب أن يعرفه كل الناس أن هذا العصر امتداد للعصر السابق عليه .

والذى يقرأ كتب التاريخ يتضح له أن كل المصائب التى وقعت على العالم الإسلامى فى القرن الثالث كان لها سبب واحد هو الإكثار من العبيد والإماء من جنسيات مختلفة ، واتخاذ الخلفاء الحرس من هؤلاء العبيد ، واتخاذ بعض الإماء سرارى قد انجبن للخلفاء العرب من جلس مجلس الخلفاء فى القرن الثالث ، فكان كل خليفة يقرب من الحراس من يتناسب فى جنسيته مع جنس أمه ، مما أوجد الكثير من التنافس بين الأجناس ، وليت الأمر استقر على التنافس فقط ، ولكنه وصل إلى الصراع على الاستئثار بالخليفة والهيمنة عليه .

ويروى لنا ابن الأثير السبب فى بناء مدينة « سامرا » فيقول (١) : « كان سبب ذلك أن المعتصم كان قد أكثر من الغلمان الأتراك ، فكانوا لا يزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلا ، وذلك أنهم كانوا جفاة يركبون الدواب ، فيركضونها إلى الشوارع ، فيصدمون الرجل والمرأة والصبى ، فيأخذهم الأبناء عن دوابهم ، ويضربونهم ، وربما هلك أحدهم فتأذى بهم الناس ثم إن المعتصم ركب يوم عيد فقام إليه شيخ ، فقال له : يا أبا إسحاق ، فأراد الجند ضربه ، فمنعهم ، وقال : ياشيخ مالك ، مالك ، قال : لا جزاك الله عن الجوار خيرا ، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك ، فأسكنتهم بيننا ، فأيتمت صبياننا ، وأرملت بهم نسواننا ، وقتلت رجالنا ، والمعتصم يسمع ذلك ، فدخل منزله ، ولم ير راكبا إلى

---

(١) الكامل فى التاريخ ٦/٤٥٢ .

مثل ذلك اليوم ، فخرج ، ، فصلى بالناس العيد ولم يدخل بغداد ، بل سار إلى ناحية القاطول ، ولم يرجع إلى بغداد » .

ولنا أن نتصور مقدار الخراب والاضطراب من تصارع العرب والفرس والأتراك على السلطة ، حين نقرأ أنه قد وصل الأمر إلى أن أصبح الخليفة مجرد رمز ، لا يستطيع أن يأمر فيطاع أمره ، بل لا يستطيع أن يحمى نفسه من هؤلاء الذين أتى بهم للحماية ، ولما أراد بعض الخلفاء كبح جماح هؤلاء الأتراك — كما فعل الخليفة القاهر (٣٢٠ — ٣٢٢ ﻫ) حين قتل مؤنسا الخادم الذى كان سبب بلاء كثير للدولة — كان جزاؤه غير القتل ، فقد استحدث الأتراك شيئاً جديداً هو سمل عينى الذى يريد بهم شراً ، وقد أصبح سمل العينين شريعة الأتراك فى معاقبة الخلفاء ، فقد سمل « توزون » التركى عينى الخليفة المتقى (٣٢٩ — ٣٣٣ ﻫ) ، وسمل « أحمد ابن بويه » الديلمى عينى الخليفة المستكفى « ٣٣٣ — ٣٣٤ ﻫ (١) .

وقد ترتب على هذا الاصطراع والاستهانة بالخلفاء أنه من تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية ، وخرجت الأمور من يدها ، واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب السيوف على الدولة ، فجبوا الأموال ، وكفوا يد الخليفة ، وقرروا له شيئاً يسيراً ، ، وبلغة قاصرة ، ووهن يومئذ أمر الخلافة » (٢) .

وانقسمت الدولة الواحدة إلى عدة دويلات متصارعة ، والخليفة حائر لا يدرى من أمر نفسه شيئاً ، فمرة ينحاز إلى جانب دون آخر ، ثم يعود فينحاز إلى الجانب الآخر على حسب ما يقدم له من رشاوى أو تهديد (٣)

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث المؤسفة يراجع الكامل ج ٧ ، ٨ ومروج الذهب ﺣ ٤ ، النجوم الزاهرة ﺣ ٣ ، وأخبار الراضى والمتقى لله .

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ٢٣٥ .

(٣) تفصيل الحديث فى أمر هذه الدويلات فى تاريخ الطبرى ﺣ ١٠ وذيول تاريخ الطبرى ، الكامل فى التاريخ ﺣ ٨ ، والنجوم الزاهرة ﺣ ٣ ، والإسلام والحضارة العربية ﺣ ٢ ، والحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ﺣ ١ وظهر الإسلام ﺣ ٢ .

ومن الطبيعي أنه إذا انهار النظام السياسي والأمني في أي دولة من الدول فإنه لابد أن ينهار النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي .

وكانت الحرب المستعرة بين المغامرين وبعضهم ، وبين بعضهم والدولة الرومانية ، تستدعي أموالا طائلة ، وكانت الأموال عادة لا تؤخذ من خزينة الدولة ، وإنما كان يؤخذ البعض من الخزينة ، والأعم الأغلب من الشعب ، إما عن طريق الضرائب الباهظة ، وإما عن طريق المصادرات ، ، وقد أشارت كتب التاريخ إلى ذلك إشارات عابرة (١) ، أما الأدباء فإنهم لم يذكروا شيئاً من الظلم الذي وقع في هذه الدويلات ، وإنما نجد منهم التمجيد لكل ما هو كائن ، وذلك لأنهم المنتفعون من كل مما يؤخذ ظلماً من الناس ، فقد كان الأدباء هم وسيلة الإعلام في تلك الفترة التي تظهر الباطل في ثوب الحق ويلبسون على الناس أمور حياتهم .

ولم يكن أمر سيف الدولة بأهون من غيره في ذلك ، فقد بلغ من ظلمه أنه أوقع الكثير من الظلم المتوالي على بني حبيب النازلين بنصيبين ، وكانوا أبناء عمومته ، حتى اضطروا إلى أن يخرجوا بذراريهم ومواشيهم وثقلهم في أثني عشر ألف فارس بسلاح شاك من دروع وجوشن وسيف إلى بلاد الروم : فتنصروا جميعاً ، ثم كانوا بعد ذلك حرباً شعواء على المسلمين لعلمهم بالمسالك وخبرتهم بالدروب ، وأغاروا على البلاد الإسلامية عدة مرات حتى وصلوا إلى نصيبين نفسها . (٢)

ولا أدل على هذا من أن أحد الذين لقبوا بلقب الدمستق في بلاد الروم وكان حربا على الإسلام والمسلمين هو الدمستق بن الشمشقيق وهو الذي يقول فيه ابن خلدون (٣) : « وهذا كان أبوه مسلماً من أهل طرسوس

---

(١) اقرأ المصادر التاريخية التي سبق ذكرها .
(٢) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ٩٠ .
(٣) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٥٢٥ .

يعرف بابن العفاش ، تنصر ولحق بالقسطنطينية ، ولم يزل يترقى فى الأطوار إلى أن نال من الملك ما ناله »

هل كان من الممكن للأدباء والشعراء أن يثبتوا أن الحكم فى عهد سيف الدولة كان يقوم على الظلم والمصادرة ؟ إنهم لا يستطيعون ذلك لأن كل نعيمهم يأتى من هذا الظلم ، ويكفى فى هذا المجال أن أذكر هذا الخبر بنصه ، ثم لن أذكر أى تعليق عليه ؛ لأنه ناطق بكل شىء كان يحدث فى الدولة . يقول ابن الأثير (١) : « فى هذه السنة (يقصد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة) فى شوال دخل أهل طرسوس بلاد الروم غازين ، ودخلها أيضاً نجا غلام سيف الدولة بن حمدان من درب آخر ، ولم يكن سيف الدولة معهم لمرضه ، فإنه كان قد لحقه قبل ذلك بسنتين فالج ، فأقام على رأس درب من تلك الدروب فأوغل أهل طرسوس فى غزوتهم حتى وصلوا إلى قونية وعادوا فرجع سيف الدولة إلى حلب ، فلحقه فى الطريق غشية أرجف عليه الناس بالموت ، فوثب هبة الله ابن أخيه ناصر الدولة بن حمدان بابن دنجا النصرانى فقتله ، وكان خصيصاً بسيف الدولة ، وإنما قتله لأنه كان يتعرض لغلام له غغار لذلك . ، ثم أفاق سيف الدولة ، فلما علم هبة الله أن عمه لم يمت هرب إلى حران ، فلما دخلها أظهر لأهلها أن عمه مات ، وطلب منهم اليمين على أن يكونوا سلماً لمن سالمه وحرباً لمن حاربه ، فحلفوا له ، واستثنوا عمه فى اليمين ، فأرسل سيف الدولة غلامه نجا إلى حران فى طلب هبة الله ، فلما قاربها هرب هبة الله إلى أبيه بالموصل ، فنزل نجا على حران فى السابع والعشرين من شوال فخرج أهلها إليه من الغد فقبض عليهم ، وصادرهم على ألف ألف درهم ، ووكل بهم حتى أدوها فى خمسة أيام بعد الضرب الوجيع بحضرة عيالاتهم وأهليهم فأخرجوا أمتعتهم فباعوا كل ما يساوى ديناراً بدرهم لأن أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ليس فيهم من يشترى لأنهم مصادرون ، فاشترى ذلك أصحاب نجا بما أرادوا ، وافتقر أهل البلد ، وسار نجا إلى ميافارقين وترك حران شاغرة بغير وال ، فتسلط العيارون على أهلها » .

(١) الكامل ٨/٥٤٧ والقصة رويت فى تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٥١٤ بأسلوب آخر .

فهل نطلب من أهل هذا البلد أو من أهل حلب أن يقفوا فى وجه الدمستق حين هجم عليهم واستولى على حلب عام ٣٥١ ؟ أعتقد أن أهل هذه الدويلة كانوا يقفون متفرجين فرحين فى ضمائرهم وهم يرون سيف الدولة يهرب أكثر من مرة أمام هجمات الروم .

وعلى الرغم من الفقر الشديد الذى كان يعيش فيه الأهالى فإننا نجد أمراء الحمدانيين ومن يتقربون إليهم من الأجناد والأدباء يعيشون عيشة بذخ ورفاهية ، فمن المعروف أنه « قد أغرم بنو حمدان ببناء القصور الفخمة كما أغرم بذلك كثير من معاصريهم من الأغنياء فى حلب والموصل ، ولعل عدوى بناء القصور الفخمة التى تشبه الجنان بروعة بنائها ، وجمال تنسيقها وسحر بساتينها قد جاءت بنى حمدان عن طريق العباسيين ، فقد عاش بنو حمدان فى بغداد حقباً طويلة لم يكونوا خلالها بعيدين عن قصور الخلفاء ، بل لقد عرفوها عن كثب ، واشترك بعضهم فى الهجوم عليها عند عزل خليفة أو مطاردة قائد » (١) .

والخبر الآتى — على الرغم من طوله — يوضح ما كانت فيه الخلافة من ضياع وتفكك ، وما كانت فيه من تقتير فى نواح وإسراف فى نواح أخرى لا تمت بصلة للتقدم العمرانى ، وإنما لتزيد الأغنياء غنى والفقراء فقراً وحقداً .

يروى المسعودى (٢) إنه لما أفضت الخلافة إلى المستكفى (٣٣٣ — ٣٣٤ هـ) جلس فى بعض أيامه مع جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة ، فتذاكروا الخمر وأفعالها ، وما قال الأدباء فيها من شعر ونثر ، فقال بعض من حضر : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أحداً وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر ، فإنه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه أنه ليس فى العالم شىء واحد أخذ من أمهاته الأربع فضيلتها وابتزها

(١) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ٨٦ .
(٢) مروج الذهب ٣٥٨/٤ بتصرف واختصار شديدين .

أكرم خواصها إلا الحمرة ، فلها لون النار ، وهو أحسن الألوان ، ولدونة الهواء ، وهى ألين المجسات ، وعذوبة الماء ، وهى أطيب المذاقات ، وبرد الأرض ، وهى ألذ المشروبات ، وهذه الأربع وإن كن فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر ، ولقد قلت فى اجتماع هذه الصفات فيها :

لست أرى كالراح فى جمعها   لأربع هن قوام الـــورى
عذوبة الماء ولين الهـــوا   وسخنة النار وبرد الثرى

ولقد أبدع أبو نواس فى وصف الخمر وكان مما قاله فيها :

فعلت فى البيت إذ مـزجت   مثل فعل الصبح فى الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها   كاهتـداء السفر بالعلم

وقـال :

إذا عب فيها شارب القوم خالتـه   يقبل فى داج من الليل كوكبـا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا   وما لم تكن فيه من البيت مغربا

وقـال :

عتقت فى الدنان حتى استـفادت   نور شمس الضحى وبرد الظلام

وقـال :

قال : ابغنى المصباح قلت له : اتئد   حسبى وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شـربة   كانت لنا حتى الصباح صباحا

فلما سمع المستكفى هذا القول وأمثاله مما ألقى على مسامعه دخله سرور وطرب وأمر بالخمر ، ودعا إلى شربها ، وكان قد ترك شرب النبيذ حين أفضت إليه الخلافة .

فهل ينتظر ممن هذه حاله أن يقود أمة إلى الرقى ، أو أن ينقذها من البوار ؟ وإن الشيء الذى يصيب الإنسان بالدهشة أن الواحد من هؤلاء كان ينادى بأمير المؤمنين ، ويلقب الألقاب العجيبة فمن المتقى لله ، ومن المستعين بالله ، ومن المطيع لله ، ومن المستكفى بالله ، وأشياء من هذا القبيل .

ولن تكون الرواية التالية أقل شأناً من سابقتها ، وإنما لها شأن آخر ودلالة أخرى على مقدار التفسخ والعفن الذى أصاب الدولة ، ومقدار السفه الذى أصاب هؤلاء الخلفاء فى إنفاق الأموال على غير مستحقيها ، وإنما نثرها على المنافقين والمنادمين الذين يزينون لهم طرق الشيطان وطرق ضياع الدولة وأهلها .

يروى المسعودى أيضاً (١) أنه لما دخل أحمد بن بويه بغداد ، بعد موت توزون التركى ، لجأ إليه المستكفى فى الجانب الغربى ، وكان المطيع مختفياً فى بغداد ، والمستكفى يطلبه أشد الطلب ، وقد أنزل المستكفى فى بيعة النصارى المعروفة بدرنا من الجانب الغربى ، وكان المستكفى خائفاً أشد الخوف أن يلى المطيع الخلافة فيحكم فيه بما يرى ، وكان لا يخفى خوفه هذا عن ندمائه ، وكانوا يهونون عليه الأمر ، ولما زاد به الخوف والضيق أراد أن يرفه عن نفسه فقال لأصحابه : قد اشتهيت أن نجتمع فى يوم كذا فنتذاكر أنواع الأطعمة ، وما قال الناس فيها من شعر ، فلما اجتمعوا فى الموعد المحدد قال أحد الجلوس : قد حضرنى يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة فيها سكارج كوامخ ، وألقى عليهم قصيدة طويلة فى هذا الموضوع منها :

أمتع بسلة قضبان أتتك وقد ... حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة ... حمر وصفر وما فيهن إنكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة ... وكامخ أحمر فيها وكبار
أعطته شمس الضحى لوناً فجاء به ... كأنه من ضياء الشمس عطار

(١) مروج الذهب ٤/٣٦١ .

إلى آخر القصيدة وكلها مليئة بالوصف لهذه الأصناف التى ذكرها ، فلما سمع المستكفى ذلك قال : تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف ، وهاتوا ، فلسنا نأكل اليوم إلا ما تصفون ».

فقال آخر من جلسائه : يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى صفة سلة نوادر شعر رائق ، وذكر له قصيدة طويلة أيضاً ، منها :

متى تنشط للأكـــل فقد أصلحت الجونه
وقد زينها الطاهـــى لنا أحسن تزيينـه
فجاءت وهى من أطيـــب ما يؤكل مشحونه
فمن جدى شوينـــاه وعصبنـا مصارينه
ونضـدنا عليـــه نعـــنع البقـل وطرخونه

إلى آخر ما قال كشاجم ، فقال المستكفى : أحسنت ، وأحسن القائل ، وأمر بإحضار كل ما يجرى فى وصفه مما يمكن إحضاره ، ثم قال : هاتوا .

فقال ثالث : فى هذا المعنى لابن الرومى فى صفة وسط شعر جليل القدر ، وذكر له قصيدة طويلة أيضاً منها :

يا سائلى عن مجمع اللـــذات سألت عنه أنعت النعـبـات
فهاك ما أنشأته من قصــــه مسلماً من شوبه ونقصـــه
خـذ يا مريد المأكل اللـــذيذ جـرد قى خـبز من السميذ
لم تــر عينا ناظر مثليهمـــا فقشـر الحرفين عن وجهيهما

إلى آخر ما قال ابن الرومى .

وقال رابع من الجلوس : يا أمير المؤمنين ، لإسحاق الموصلى فى صفة سنبوسج شعر رائع ، وذكر له أبياتاً كثيرة منها :

يا سائلى عن أطيب الطعـــام   سألت عنه أبصـر الأنـام
أعمد إلى اللحم اللطيف الأحمر   فذقه بالشحم غـير مكثر
واطـرح عليه بصـلا مدورا   وكرنباً رطباً جنياً أخضـرا
والق السذاب بعـده موفـرا   ودار صينى ، وكف كزبـرا

إلى آخر ما قال الموصلى » .

وقال خامس : يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى وصف هليون أبيات طلية ، وذكر له أبياتاً كثيرة منها :

لنـا رمـاح فى أعاليهـا أود   مفتـلات الجسم فتلا كالمسد
مستحسـنات ليس فيها من عقد   لها رؤوس طالعات فى جسـد
مكسوة من صنعة الفـرد الصمد   منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق برد   قد أشـربت حمرة لون خـد

إلى آخر ما وصف كشاجم ، فقال المستكفى : هذا مما يصعب وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد ، إلا أن نكتب إلى الإخشيد يحمل إلينا من ذلك البر من دمشـق .

فقال سادس من جلسائه : يا أمير المؤمنين للحافظ الدمشقى فى صفة أرزية أبيات جيدة وهى :

لله در أرزة وافى بهـــا   طاه كحسن البدر وسـط سماء
أنقى من الثلج المضاعف نسجه   من صنعة الأهـواء والأنداء
وكأنها فى صحفة مقـدودة   بيضـاء مثل الدرة البيضاء
بهرت عيون الناظرين بضوئها   وتريك ضوء البدر قبل مساء
وكأن سكرها على أكنافهـا   نـور تجسـد فوقها بضياء

وقال سابع من الجلساء : يا أمير المؤمنين ، أنشدت قصيدة لبعض المتأخرين فى هريسة ، وذكر له القصيدة التى منها :

ألذ ما يأكله الإنســـــان إذا أتى من صيفة نيســـان
وطالت الجديـــان والخـــرفان هريســـــة يصنعها النسـوان
لمن طيب الكف والإتقـــان يجمع فيها الطير والحملان
وتلتقى فى قدرها الأدهـــان واللحم والألية والشحمـــان

حتى إذا أتى على آخـــــرها قال آخـــر : يا أمير المؤمنين ، لبعض المتأخرين ، فى صفة المضيرة ، وذكر له ما قيل فى هـــذا الصنف ، ومنه :

إن المضيرة فى الطعــــام كالبدر فى ليـــل التمام
إشــــراقها فوق المـــوا ئـــد كالضياء على الظـــلام
مثـــل الهـــلال إذا بـــدا للناس فى خلل الغمـــــام
فى صحفـــــة ممـــــلوءة للناس من جـــزع التهام

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين كشاجم شعر فى صفة جوذابة ، وذكر له الشعر الذى منه :

جوذابة من أرز رائـــــق مصفرة فى اللون كالعاشـــق
عجيبة مشـــــــرقة لونهـــا من كف طاه محكم حاذق
نســـيجه كالتبر فى حمـــرة وردية من صنعة الخــــالق
بسكر الأهواز مصبوغـــــة فطعمها أحلى من الرائـــق
غريقة فى الدهن رجراجـــة تدور بالنفخ من الذائــــق

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، عندى أبيات لبعض المحدثين فى صفة جوذابة ، وذكر الأبيات ومنها :

وجوذابة مثل لون العقيـــــق وفى الطعم عندى كطعم الرحيق
من السكر المحض معمـــولة ومن خالص الزعفوان السحيق
مغـــــرقة بشحـــوم الدجاج وبالشحم أكرم بها من غريق

وقال آخر ، يا أمير المؤمنين ، عندى أبيات لكشاجم فى صفة القطائف وذكر الأبيات التى منها :

عندى لأصحاب إذا اشتد السغب قطائف مثل أضابير الكتب
كأنه إذا ابتدا من الكثب كوافر النحل بياضاً قد ثقب
قد مج دهن اللوز مما قد شرب وابتل مما عام فيه ورسب
وجاء ماء الورد فيه وذهب فهى عليه حبب فوق حبب

وهنا أقبل المستكفى على معلم كان يعلمه فى صباه ، طيب النفس ، وكان يضحك منه ويستظرفه ، فقال له : قد أنشدنا ما سمعت ، فأنشدنا أنت ، قال : لا أدرى ما قال هؤلاء ، وما أنشدوا ، غير أنى قد مضيت فى أمس يومنا هذا أدور حتى أتيت باطرنجا فرأيت رياضها فذكرت قول أبى نواس. فيها ، فقال المستكفى : هات ما قال فيها ، فأنشده قصيدة طويلة منها :

باطرنجا بها ثوائى ولى فيـــ ـها إذا دارت الكؤوس اعتبار
من حديثى أنى مـررت بها يو ما وقلبى من الهوى مستطار
وبها نرجس ينادى غلامى قف فقد أدركت لدينا العقار
وتغنى الدراج واستمطر اللهـــ ـو وجادت بنورها الأزهار

إلى آخـــر القصيدة .

ثم يقول راوى الخبر فى النهاية (١) : « فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سروراً منه فى ذلك اليوم ، وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ، ثم أحضر ما حضره من عين وورق مع ضيق الأمر إليه ! ! ! ، فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوماً مثله ، حتى قبض عليه أحمد بن بويه الديلمى ، وسمل عينيه » .

(١) مروج الذهب ٤/ ٣٧٠ .

الشيء العجيب حقاً أن هذا الخليفة المرتعد من المطيع المختفى يعقد مثل هذا المجلس من مجموعة لا تقدر عواقب الأمور مثل الذى دعاهم إليه ، ثم لا يتذاكرون فى حالة التردى للدولة ، وإنما يتذاكرون فاخر الأطعمة وما قيل فيها ، ثم يأمر ذلك الخليفة المأفون بإحضار كل صنف مما يذكر على ما يذكر ! ! ! ، ثم فى النهاية يجيز جميع من حضر من ندمائه ومغنيه وملهيـــــه .

إننى أعتقد أن مثل هذا الخليفة قد أحسن فيه المسيطرون عليه حينما سملوا عينيه وتركوه عبرة للحياة والأحياء ، لأنهم إن قتلوه فقد أراحوه من عذابات كثيرة ، ولكنهم أحسنو صنعاً . والحياة عبر ، وكل حاكم يستبد بشعبه وبأمواله وينفقها فى ملذاته ومؤامراته يسلط الله عليه من داخل بلده أو من خارجه من يسمل عينيه ، أو من يسمل كرامته ويتركه أمثولة وأضحوكة حتى تلفظه الأيام ، أو تقذفه فى باطن الثرى ، فيختلط دمه بفضلات من بقى من شعبه ، ثم لا يجد التاريخ المنصف بدا من أن يبصق عليه ، فالحجاج مثلا لم يغفر له التاريخ إذلاله للشخصية الفردية المسلمة على الرغم من جهوده فى تجييش الجيوش واتساع الفتوحات على يده .

إن المسلمين قد ضاعت هيبتهم منذ تركوا الشورى الحقيقية التى تأخذ بيد الحاكم إلى النهوض ببلاده وشعبه ، وتأخذ على يده إن هو جنف عن الحق ، ومال إلى الباطل والأهواء الشيطانية ، إن الشورى الحقيقية هى التى تجعل الشعب كله يداً واحدة فى مواجهة الأحداث الداخلية والخارجية ، لأنها تحافظ على حرية كل فرد ، وتحافظ على حقوقهم ، وتجعل أموال الدولة تصرف فى سبيل الدولة ، وليست تكون ملكاً للحاكم يتصرف فيها بسفه وجنون ، فقد رأينا حكاماً كثيرين يعطون الشاعر آلاف الدنانير على قصيدة مدح فى حين تكون الثغور فى حاجة إلى الحماية ، أو يكون الأفراد فى حاجة إلى الخدمات الكثيرة التى تجعلهم يشعرون بأنهم أهل لاستيطان البلد والدفاع عنه ، ولا يشعر الناس أبداً بالسلبية فى كل شيء حتى فى الدفاع عن بلدهم

إلا إذا كان الحاكم مستبداً بكل الأمور يتصرف فيها كأنها إقطاع له ، وكأن الناس عبيد له ، فى هذه الحالة وحدها لا يهب الناس للدفاع عندما يدهمهم أمر ، لأنهم يرون أن الكارثة يجب أن تنزل لتريحهم من الحياة أو لتريحهم من الحاكم الظالم ، والقارئ فى التاريخ يجد مصداق ما أقول ، ففى حروب سيف الدولة الكثيرة نراه يهرب فى الكثير من المواقف مع مجموعة المغامرين الذين يتبعونه ، ويتركون البلد وأهله نهباً لجيش الروم ، وحقاً إنه كان يعود إلى البلد مرة أخرى ولكن بعد أن يتركه نقفور أو الدمستق ، ولا يعود ليضمد جراح المجروحين وإنما ليصادر الأموال ويقتل الأنفس البريئة ليعيش هو وأسرته وعصاباته عيشة رغدة فى القصور الواسعة وبين أحضان الجوارى الروميات وعلى أنغام الموسيقى وفنون الرقص ودوران الرؤوس من آثار الكؤوس .

وإننى لا أتجنى على هذا القائد أو غيره ، فما كنت معهم ، وإنما أحكم عليهم من الكتابات التاريخية التى تسجل المخازى التى نحن فى امتدادها ولا نستطيع أن نتخلص منها لأن فئات المنتفعين ما تزال هى المسيطرة و لا يهمها أن تنخفض البلد أو ترتفع ، وإنما المهم ألا تنخفض أحوالهم أو تقل ثرواتهم .

ومن أراد معرفة المزيد عن أحوال هؤلاء القوم فليرجع إلى كتب التاريخ ، فإنها تحدث بلسان صدق عن أحوال معايشهم ، ونظم تصرفاتهم ، وفى مروج الذهب حديث مستفيض عن أوائل من اتخذ آلات الطرب والفنون وعن فنون الإيقاع وغير ذلك ، وعن الواجب على من يحضر من الندمان وأصحاب المجالس (١) ، ويعتبر كتاب أدب النديم طريقة من الطرق التى وضعت النظم التى يجب أن يكون عليها الندمان عند مخالطة الخلفاء والكبراء ، كما بين مقدار تجاوزهم وانزلاقهم إلى ما حرم الله ، و لا أحاول أن أقدم شيئاً من الكتاب وإنما أدعه يقدم نفسه للقارئ .

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٢٢٠–٢٢٨ .

القسم الثانى

١ – كشاجم

اسمه ونسبه :

ليس هناك أى أختلاف عند الباحثين فى اسمه ، فجميعهم يذكرون أن اسمه « محمود » ، وأما اسم والده فإن كل الذين ترجموا للشاعر ذكروا أن اسم والده « الحسين » (١) ولم يخالف عن هذا الرأى إلا السيوطى الذى ذكر أن اسم الشاعر « محمود بن محمد بن الحسين بن السدى (كذا) ابن شاهك ، يكنى أبا نصر » (٢) (كذا) ، فقد خالف فى اسم أبيه ، وفى كنية الشاعر ، ولم أجد هذا لغيره ، ولا أدرى من أين جاء السيوطى بهذا الاسم لأبيه ، وبهذه الكنية للشاعر ! ! .

والأعجب من هذا أن نرى الزركلى يؤيد ما ذكره السيوطى فيقول (٣) « ويرجح هذه التسمية أن جده السندى بن شاهك كان صاحب الشرطة فى عهد الرشيد العباسى ، ووفاة الرشيد سنة ١٩٣ ، فلابد من أبوين على الأقل لملء المدة بين صاحب الترجمة والسندى » . وأعجب العجب أن الدكتور شوقى ضيف ذكر فى ترجمته أنه محمود بن محمد بن الحسين بن السندى بن شاهك (٤) . فيكون بذلك قد اتبع السيوطى ومن بعده الزركلى ، دون سند أو حجة تؤيد رأيه .

---

(١) انظر الفهرست ١٥٤ وفوات الوفيات ٤/٩٩ وشذرات الذهب ٣/٣٧ .

(٢) انظر حسن المحاضرة ١/٥٦٠ .

(٣) الأعلام ٧/١٦٧ ، ١٦٨ فى الأصل والهامش .

(٤) تاريخ الأدب العربى – عصر الدول والإمارات ٦/٦٧٣ .

ولا خلاف أيضاً فى أن الشاعر ينتهى نسبه إلى جده الأكبر « السندى ابن شاهك » الذى كان أحد أتباع الرشيد ، فقد كان يلى الجسرين ببغداد فى عهده (١) ، كما كان من خاصة المنصور قبله (٢) .

ويبدو لى أن الأوفق فى اسم هذا الشاعر هو « محمود بن الحسين بن ابراهيم بن السندى بن شاهك » وأزعم أن هذا هو الصحيح لسببين : الأول : لأن السندى بن شاهك لم يكن له إلا ابنان فقط هما : نصر وابراهيم ، وكان ابراهيم هذا أحد رواة الأدب الذين أخذ عنهم الجاحظ ، وكان يوثقه فى أغلب ما يرويه عنه لعلمه وفضله ، ولنستمع إلى الجاحظ وهو يتحدث عن خطباء بنى هاشم فيقول(٣) : « ومن هؤلاء عبد الله ابن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر ، هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة ، وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

وكان ابراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشىء هو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى ، فإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المـــزور .

وكان عبد الله بن على ، وداود بن على يعدلان بأمة من الأمم .

ومن مواليهم : ابراهيم ونصر ابنا السندى ، فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبى ، والهيثم بن عدى ، وأما ابراهيم فإنه كان رجلا لا نظير له ، كان خطيبا ، وكان ناسبا ، وكان فقيها ، وكان نحويا عروضيا ، وحافظا للحديث ، راوية للشعر شاعرا ، وكان فخم الألفاظ شريف المعانى ، وكان كاتب القلم كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل فى الخراج بعمل زادان فروخ

---

(١) الوزراء والكتاب ٢٣٦ .
(٢) البيان والتبيين ٢/٣٢٨ و ٣٢٩ .
(٣) المرجع السابق ١/٣٥٥ .

الأعور ، وكان منجما طبيبا ، وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالما بالدولة وبرجال الدعوة ، وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوما ، وأصبرهم على السهر » .

وما دام ابراهيم بهذه الصورة التى رسمها الجاحظ فلا أقل من أن يكون الجد الأول لشاعرنا الذى جمع هو أيضا أنواع العلوم والمعارف فى عصره كما سيتضح لنا عند الحديث عن لقبه الذى لقب نفسه به . .

وقد يقول قائل : ولم لا يكون نصر بن السندى بن شاهك هو الجد الأول لشاعرنا ؟ والجواب أن ما قاله الجاحظ عن نصر لا يجعله جدا لمثل شاعرنا ، ولا أدل على ذلك من أننى لم أجد لنصر ذكرا فى البيان والتبيين إلا فى المرة التى ذكرتها آنفا ، ولم أجده البتة فى الحيوان أو غيره من كتب الجاحظ ؛ وذلك لأن فهمه وعلمه مقصوران على ناحية معينة ذكرها الجاحظ ، وقد ذكر شاعرنا « نصرا » فى شعره حين يقول فى مدح الرشيدى(١) :

يا ابن مـولى أبى نصر السند لدى ركن الخـلافة المشدود

بخلاف ابراهيم الذى كان دائرة معارف ، وهذا هو الذى جعل الجاحظ يعجب به ويوثقه ، ويروى عنه ، وقد اتضح أثر إبراهيم فى شاعرنا الذى كان دائرة معارف أيضا .

وما دمنا قد عرفنا أن « السندى بن شاهك » لم ينجب إلا «ابراهيم» و «نصر» فإنه من الطبيعى أن يكون ابراهيم الجد الأول لشاعرنا ، ويكون «الحسين» أباه .

الثانى : لأنه — كما يقول الزركلى — لابد أن يكون بين شاعرنا وجده الأكبر «السندى» أبوان ، فكان لابد من أن يكون ابراهيم هو الجد الأول ،

---

(١) انظر رقم (٩) فى قافية الدال من ديوان كشاجم بتحقيقنا

وأن يكون «الحسين» أباه ؛ وذلك لعدم اختلاف المصادر فى اسم أبيه «الحسين» .

لكننى لم أجد فى هذه المصادر شيئا عن والد الشاعر الذى أجمعت على أنه «الحسين» ، والذى تقتصر عليه كثير من المصادر دون باقى اسمه ، فهى تذكره باسم «محمود بن الحسين كشاجم»(١) ، وليس من المعقول — كما سبق — أن يكون جده الأول «السندى» لكن عندنا من يخبرنا بأكثر من رواية عن ابراهيم بن السندى الذى يجب أن يكون بعد اسم «الحسين» ، فقد روى عنه الجاحظ علما وأدبا كثيرا فى عشرة مواضع فى البيان والتبيين ، وفى سبعة مواضع فى الحيوان ، وفى أربعة مواضع فى البخلاء ورسائل الجاحظ .

أعود فأقول : إن هذه الأسرة كانت تتمتع بمراتب عليا فى الدولة العباسية ، فقد كان مؤسس الأسرة « السندى بن شاهك » — كما سبق — من خاصة المنصور ، وولى الجسرين فى عهد هارون الرشيد ، ثم كان من خاصة الأمين إلى أن قتل ، ويبدو أن «السندى بن شاهك» كان يتمتع بخط جميل ، يتضح هذا من قول شاعرنا فى مدح الرشيدى حين يستجديه(٢)

ودواتى تشكو الفراغ وأقــلا — مِى ظمـــاء حوائم للورود
وهى لو أعلمت جرت بنسيب — كنسيم الرياض أو كالــبرود
فى سطور أعارها جدك السنـ — ـدى من نقش نقسه فى النقود

ويتضح لنا من بعض الروايات أن « ابراهيم بن السندى » كان واليا على الكوفة ، فقد نقل ابن قتيبة عن الجاحظ خبرا قال فيه(٣) : « عمرو ابن بحر عن ابراهيم السندى قال : قلت فى أيام ولايتى الكوفة لرجل من

---

(١) مروج الذهب ٣٦٣/٤ و٣٦٨ و٣٦٩ وشذرات الذهب ٣٧/٣ وفوات الوفيات ٩٩/٤ ، والفهرست ١٥٤ .
(٢) انظر رقم (٩) فى قافية الدال من ديوان كشاجم بتحقيقنا
(٣) عيون الأخبار ١٢١/٣ .

وجوهها ، كان لا يجف لبده ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء ، وكان رجلا مفوها ، : خبرني عن الشيء الذي هون عليك النصب ، وقواك على التعب ما هو ؟ قال : قد والله سمعت تغريد الطير بالأسحار في أفنان الأشجار ، وسمعت خفق أوتار العيدان ، وترجيع أصوات القيان الحسان ، ما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن ، ومن شكر حر لمنعم حر ، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر ، قال ابراهيم : فقلت : لله أبوك ، لقد حشيت كرما ، فزادك الله كرما » .

وكان ابراهيم هذا أحد أصفياء المأمون ، يتضح هذا من قول الجاحظ(١) :

« وحدثني ابراهيم بن السندي قال : بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعس المأمون ، فقال اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينيه وقال : سوقي والله ، خذ يا غلام بيده » .

وليس من غرضي أن أستقصي أخبار هذا الرجل ، ولكنني قصدت فقط أن أدلل على مكانته الاجتماعية والأدبية والفكرية ، ولأدلل على رأي رأيته في اتصال شاعرنا به ، وأما الزيادة في أخبار الرجل فقد أشرت إلى مواضعها وعددها في كل موضع .

وفي مجموع ما قرأت من الكتب التي تحدثت عن الشاعر وجدت أنها تكنيه « أبا الفتح » ،(٢) ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا حسن المحاضرة الذي كناه « أبانصر »(٣) ، ولم أدر من أين جاء السيوطي بما قال في اسم الشاعر وكنيته ! ! .

---

(١) البيان والتبيين ٢/٣٣٠ و٣/٣٧٨ .
(٢) انظر جميع المصادر التي ذكرتها سابقا مما لها صلة بترجمة الشاعر .
(٣) انظر حسن المحاضرة ١/٥٦٠ .

وقد تحدثت كتب التراجم عن أن الشاعر لقب نفسه بلقب « كشاجم »، وبه صار يعرف ، حتى غلب على اسمه الحقيقى ، شأن جميع الشعراء الذين لا يعرفون إلا بألقابهم ، ولما سئل « كشاجم » عن سر هذا اللقب قال : الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد أو من الجدل ، والميم من منجم أو من المنطق .

وقد ذكر ابن العماد أنه قد مهر فى الطب حتى صار أكبر علمه ، فزيد فى اسمه (يقصد لقبه) طاء من طبيب ، وقدمت فقيل « طكشاجم » ولكنه لم يشتهر(١) ، ولكن ابن شاكر الكتبى يقول(٢) : « وقال بعضهم : كشاجم طخ » وزاد الطاء من طباخ ، والخاء من خراء » !! ، ومن هذه الطاء على رأى ابن العماد يفسر ما يقوله بعض الباحثين من أنه كان يشرف على إعداد طعام سيف الدولة ، فالإشراف بهذه المثابة يجعله طبيبا لا طباخا ، وإن كان هذا لا يمنع أن يكون طباخا ، وذلك لما تمتع به من مواهب متنوعة .

ويكفى لمعرفة مكانة هذا الرجل من حيث العلم والأدب أنه ثقة يؤخذ عنه ، وتروى الأحداث عن روايته وأخباره ، والمسعودى صاحب مروج الذهب ، وهو من هو فى مكانته فى علمه وفضله يروى عنه ويوثقه ، فيقول مثلا فى بعض ما قال فى مروج الذهب(٣) : « وأخبرنى أبو الفتح محمود بن الحسين السندى بن شاهلك الكاتب المعروف بكشاجم ، وكان من أهل العلم والرواية ، والمعرفة والأدب ... » إلخ . ما ذكر ، وقد تكرر منه ذلك مما يبين مكانة كشاجم العلمية والأدبية ، حتى أصبح موثوقا به فى نواحى العلم المختلفة ، وليس هذا بغريب على من جمع وفهم ثقافة عصره واستوعبها .

---

(١) شذرات الذهب ٣٨/٣ .
(٢) فوات الوفيات ٩١/٤ .
(٣) مروج الذهب ٣٢٧/٤ .

٢ — هذا الكتاب

هذا أحد كتب كشاجم التى وصلت إلينا ضمن ما وصل من تراثنا الذى عدت عليه أحداث وأحداث ، وهو كتاب صغير الحجم حقا إلا أنه عظيم الفائدة ، فالكتب — كالأشخاص — لا تقاس بالحجم ، وإنما تقاس بما يعود منها على دنيا الناس ، فكم من الكتب والأشخاص من يتمتع بحجم كبير ولكن فائدته تكون قليلة ، أو تكاد تكون معدومة .

ومن المعروف أن القرنين الرابع والخامس الهجريين كانا من العصور الزاهرة فى تاريخ الفكر والثقافة ، وما زلنا حتى الآن نفخر بما جاءنا من تراث هذين العصرين على الرغم مما كان فى هذين العصرين من مآس سبق ذكر بعض منها ، ولكن العلماء وجهوا وجهتهم نحو العلم بجميع فروعه يثرونه ، ويقدمون فيه الجديد والمفيد دائما ، حتى لقد أصبحت القرون التالية تعيش على مائدة هذين العصرين .

ولم نجد فرعا من فروع العلم والثقافة لم يطرقه الباحثون ، فهناك البحوث اللغوية والأدبية والفقهية وعلوم القرآن والحديث والعلوم الفلسفية وغير ذلك ، ولكن لم نجد كتابا يتخصص فى اتجاه كتاب أدب النديم .

إن كتاب أدب النديم يمكن أن نطلق عليه أدب السلوك العام ، وهو قد تخصص فى هذه الناحية ، وبين للإنسان ما يجب عليه فى سلوكه عند المنادمة ، ولقاء الأصحاب والكبراء ، ومجالستهم ، والتحدث معهم ، وما قد يتطلبه الجلوس من مشاركة فى الطعام والشراب والمناقشة ، كما وضح للإنسان أيضا ما يجب أن يبتعد عنه عند هذه المواقف .

حقا إن الحديث عن السلوك العام ليس جديدا ، فإن الكتب القديمة ذكرت نتفا متفرقة فى صفحات كثيرة منها ، والقارىء فى هذه الكتب يرى

أن هذه الآداب تأتى متفرقة بين ثنايا هذه الكتب ، ولا تأتى إلا فى مناسبة خاصة بها ، والذى يقرأ فى البيان والتبيين للجاحظ ، أو فى عيون الأخبار لابن قتيبة يجد مصداق ما أقول .

إنما الجديد فى هذا الكتاب — رغم صغر حجمه — أنه أتى لنا بهذه الآداب بين دفتيه ، وتحت عنوانات محددة ، بحيث يصبح القارىء ملما بموضوع الكتاب كله ، أو ملما بآداب السلوك كلها عن طريقه دفعة واحدة ، بخلاف الكتب القديمة السابقة التى جعلت هذه الآداب متناثرة هنا وهناك ، مما يتسبب فى عدم إلمام القارىء بها كلها أو بعضها، أو على الأقل فى تشتت ذهنه فى سبيل الحصول عليها أو على بعضها .

وقد اعترف كشاجم بأن العلماء الأولين كان لهم فضل الريادة فى هذا الموضوع من حيث إنهم أتوا ببعض هذه الآداب فى كتبهم ، ولكنه هو يكون له فضل السبق والتفوق فى ضم هذه الآداب فى كتاب واحد .

ولم يقتصر عمل كشاجم فى هذا الكتاب على جمع الآداب الخاصة بالنديم من الكتب ، وإن كان هذا فى حد ذاته عملا شاقا ، ولكنه أضاف إلى ذلك ما استجد من آداب ، أو ما رأى هو من أدب يجب أن يتحلى به النديم ، أو يبتعد عنه ، وليس هذا بغريب على من عاش فى بلاط سيف الدولة ، ورأى فى تلك الفترة المزدهرة من حياة الحكام شيئا عظيما ، مما كان يتنبه إليه بحكم تلك المعايشة ، أو مما يلقى فى مجلس سيف الدولة من أقوال تؤدى إلى بعض هذه الآداب ، أو ترسم لها طريقا .

ولم يكتف كشاجم بأن يورد لنا الرسوم والنظم التى توضح أدب السلوك ، وإنما أتى فى أثناء ذلك بما يؤيد هذه النظم ويدعمها من أقوال للشعراء وحكم للحكماء ، ومواقف للظرفاء ، بحيث أصبح الكتاب بحق يغذى الفكر والعاطفة فى آن واحد ، أو أن يدخل إلى العقل المجرد عن طريق القلب ، فإن الرسوم والنظم كالقواعد العامة تكون جافة ممجوجة ، ولكنها تجد

طريقها إلى القبول بما يلقى فى طريقها من أشعار محكمة ، ونثر جميل ، وحكمة رصينة ، وحديث شريف ، بحيث لا يجد العقل طريقا للرفض ، أو على الأقل لا يجد طريقا للملل ؛ لأن الأشعار والمنثور من القول والحكمة والحديث تعين على تأكيد فكرة من أفكار أدب السلوك ، وفى الوقت ذاته تبعد الجفاف عن هذه الأفكار لو أنها عرضت مجردة دون تأييد وتجميل بما يساق من شعر ونثر .

بيَّن كشاجم كل ذلك فى منهجه فى المقدمة حين قال : « فإنى وجدت من تقدم من العلماء ، وعنى بتأليف الكتب من الأدباء ، قد جردوا بذكر الشراب كتبا ضمنوها من نعوت أصنافه ، وأوصاف محرمه ومحلله ، وتبيين خصاله ولطائفه ، وحدود منافعه ومضاره ، وضروب ملاذه ومساره ، ما استغرقوا فيه المعنى ، واستوفوا به المدى ، وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره ، والتنبيه على منزلته وموقعه ، وإفراده من القول بما يبين عن فضله ، ويدل على محله ، إلا فى جمل أدرجوها ، ولم يبسطوها ، ولمع فى أطراف الكتب فرقوها ، ولم يؤلفوها ، فأحببت أن أجرد فى ذلك كتابا أفصله وأبوبه ، وأوفى كل معنى فيه حقه ، وأضم إلى كل شكل شكله ، وأجمع إلى ما تستنبطه القريحة أحسن ما وجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ، ومنظوم الشعراء ، ومنثور البلغاء ، وأخبار الظرفاء ، وأودعه من أدب النديم مالا يستغنى عنه شريف ، ولا يجوز أن يخل به ظريف ؛ ليكون منهجا واضحا لمن نظر فيه ، وإماماً يقتدى به من وقع إليه » .

ويتضح من هذا أن للسابقين عليه بعض الفضل فى الحديث عن بعض آداب السلوك ، وإن كانت جاءت متفرقة متباعدة فى كتبهم ، أما هو فيكون له الفضل الأكبر فى إفراد كتاب مستقل لهذه الآداب ، يجمع بين أدب السلوك والمعايشة ، وبين أدب القول من شعر ونثر .

كما يتضح — وهذه ميزة كبرى لكشاجم — أن منهج الكتاب يخالف

عما كان مألوفا فى عصره من مناهج الكتب ، أو المؤلفات ، وهذه تكون ناحية إبداعية تحسب له ، ويمكن إرجاعها — كما سبق أن أوضحت — إلى معايشته وخدمته فى بلاط سيف الدولة ، ثم إلى ما منحه الله من عين تلتقط ما تقع عليه ، وتنسقه فى الموضع اللائق به ، وإلى عقل سليم يضع النظير إلى نظيره ، وإلى عاطفة رقيقة شاعرة تقبل ما يمكن قبوله ، وترفض ما يجب رفضه .

ولم ينس كشاجم شاعريته فى هذا الكتاب ، فهو يذكر لنا من أشعاره الشىء الكثير بجوار ما قيل فى الموضوع من أشعار لشعراء آخرين ، وقد يكون شعره فى مجال لم يذكر فيه شعر لأحد السابقين عليه .

وقد أتى الكتاب فى ثلاثة عشر بابا موزعة كالآتى :

الأول : باب مدح النديم وذكر فضائله وذم المتفرد بشرب النبيذ .

وفيه يتحدث عن سبب تسمية النديم بهذا الاسم ، وتوضيح مكانته ، ثم ذكر ما قيل فى النبيذ والخمر ، وذكر مجموعة ممن اشتهروا بمعاقرة الخمر ثم حرموها على أنفسهم ، سواء فى الجاهلية أو الإسلام .

الثانى : باب أخلاق النديم وصفاته .

وفيه يبين أن نديم الملوك لابد أن يكون على صفات خاصة به ؛ حتى لا يمله الملك ، أو يسقط من عينه ، وسيرى القارىء أن فى هذا الباب أشياء لا يمكن للنفس السوية قبولها ؛ لأنها تدخل فى مجال النفاق .

الثالث : باب التداعى للمنادمة .

ويتحدث فيه عما يجب على المضيف نحو ضيفه ، وأنه لا يصح أن يتكلف فوق طاقته ؛ لأنه إن فعل ذلك يدخل فى مجال تصنع الكرم .

الرابع : باب الشّرب وكثرتهم وقلتهم .

ويتحدث فيه عن ميزة اجتماع الأصحاب على الشراب ، ثم يوازن بين الأعداد كثرة وقلة ، ويبين أفضلها .

الخامس : باب السماع .

وفيه يتحدث عن واجب النديم عند استماع الغناء ، ويبين مكانة الغناء من النفس البشرية ، كما يوضح أنه لا مجال عند الاستماع إلى تصحيح القول أو النغم .

السادس : باب المحادثة .

وفيه يبين أن النديم لا يكون نديما إلا إذا حسنت محادثته ، ودق فهمه ، وقصر حديثه ، واتسع مجال هذا الحديث رغم إيجازه .

السابع : باب غسل اليد .

وفيه يتحدث عن آداب غسل اليد قبل الأكل وبعده ، ويفضل فى هذا المجال الاستتار عند الغسل لما فى ذلك من الأذى ، أو ما يثير التقزز .

الثامن : باب إدارة الكأس .

وقد بين فيه أن الإسلام أقر المبدأ الجاهلى ، وهو أن الشراب يجب أن يقدم إلى من فى اليمين أولا حتى وإن كان أقل شأنا من غيره .

التاسع : باب الإكثار والإقلال .

وفيه يتحدث عما يجب الابتداء به من الشراب ، ويبين أنه لا يجب أن يجبر النديم على الشرب ، ويوضح أنه إذا سكر النديم فلا لوم عليه إذا كان مكرها على الشرب ، ويبين سوء عاقبة أولئك الذين يدمون السكر ، ويهملون أمور حياتهم .

العاشر : باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ .

وفيه يبين أنه لا يصح من النديم أن يطلب من منادمه قضاء حاجة له فى حالة الشرب ، لأن ذلك يدخل فى مجال انتهاز فرصة السُّكر ، أما إذا كان يطلب لغيره فلا بأس ، وإن كان التأخير أفضل .

الحادى عشر : باب هيئة النديم وما يلزمه .

وفيه يتحدث عما يجب أن يلتزم به النديم من زى وهيئة ، وأن يحافظ على نظافة جسمه ، ويبين أنه لا يصح للنديم أن يستغل فرصة منادمته للكبراء فيرفع الكلفة بينه وبينهم ؛ لأن هذا يسقطه من عيونهم ، ويبين أن نديم الحكام لابد أن يتوقع الإيقاع به .

الثانى عشر : باب ما يلزم الرئيس لنديمه .

وفيه يوضح أن الرئيس يجب أن يحافظ على كرامة نديمه ، وأن يكرمه ، ويرفع من شأنه ، وألا يمتهنه بما يسقط مكانته من عيون الآخرين .

الثالث عشر : باب الأدب فى الشطرنج .

وفيه يتحدث عن الأدب الذى يجب اتباعه فى أثناء اللعب ، وبخاصة لأن المدة قد تطول بين اللاعبين ، ثم يبين أن هذه اللعبة تحتاج إلى روية وهدوء ؛ لئلا يسقط اللاعب فى مهاوى هذه اللعبة .

وقد ساق كشاجم كل هذه الأبواب فى أسلوب أدبى رفيع مزين بالشعر الجيد المفيد ، والنثر الأدبى العالى القدر .

* * *

٣ — نسبة الكتاب واسمه

إن هذا الكتاب يدل دلالة قوية على ثقافة كشاجم ، وعلى معرفته بالنظم والتقاليد التى استحدثت فى مجالات الحياة العامة ، بعد أن مصرت الأمصار ، وفتحت الأرض ، واتسع العمران .

ويجمع الكتاب بين دفتيه ما يمكن أن يسمى بنظم اللقاء ، وآداب الجلوس ، وآداب الطعام والشراب ، وآداب الكلام ، وما إلى ذلك ، أو ما يسمى فى النظم الحديثة بـ « البروتوكول » .

وهذا الكتاب يدل أيضا على مقدار صلة كشاجم بعلية القوم ، ومعرفته بما يجب فى معاملاتهم ، وقد ورث هذا الأمر عن أبيه وجده ، وقد ذكر كشاجم فى كل مناسبة ما يوافقها من أقوال مأثورة ، وأشعار رائعة مما جعل هذا الكتاب كتاب فن وأدب .

وقد ذكر هذا الكتاب فى المصادر القديمة التى تتحدث عن الأعلام ، وعن كتبهم ، وما قدموا إلينا من تراث خالد ، فقد ذكره صاحب الفهرست ، بل وقدمه على ما ذكر من كتب كشاجم فقال (١) : « وله من الكتب كتاب أدب النديم ، وكتاب الرسائل ، وكتاب ديوان شعره » ، وذكره مرة أخرى حين كان يتحدث عن الشعراء ودواوينهم وعدد أوراق هذه الدواوين فقال(٢) : « كشاجم . . . من ولد السندى بن شاهك مائة ورقة . وله كتاب أدب النديم » .

وقد ذكره ابن شاكر الكتبى فقال (٣) : « وله من التصانيف كتاب أدب النديم ، وكتاب المصايد والمطارد ، وكتاب الطبيخ » .

وقد ذكر فى غير هذين من المصادر القديمة والحديثة .(٤)

---

(١) الفهرست ١٥٤ . (٢) المصدر السابق ١٩٤ .
(٣) فوات الوفيات ٤/٩٩ .
(٤) انظر كشف الظنون ١/٤٩ ومعجم المؤلفين ١٢/١٥٩ والأعلام ٧/١٦٧ .

نسخ الكتاب :

حين حصلت على فهرس المخطوطات المصورة من معهد المخطوطات العربية وقع نظرى على اسم الكتاب فى ص ١٧ فى الجزء الأول من القسم الثانى تحت رقم ٩٢٨ ، فجذبنى إليه جذبا ، فطلبت مصورته (ميكروفيلم) ، فوجدت فيها علما موفورا ، وأدبا رفيعا ، وفنا دقيقا ، فوقع فى خاطرى أن أقوم بتحقيقه ؛ ليفيد منه محبو الأدب والثقافة ، وحين استقرت نفسى على هذا الأمر أخذت فى قراءة الكتاب كله أولا : لأطمئن من ناحية فائدته .

والكتاب يقع فى سبع وسبعين ورقة ، ولا يزيد ما فى الصفحة عن سبعة أسطر ، وقد كتبه مسعود بن محمد بن غازى ، كما يتضح من صفحة العنوان ، وإن كان لم يذكر سنة نسخه ، ولكن خط كتابة هذه النسخة يدل على أنه من خطوط القرن الخامس أو السادس .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز [ص] على أنها الأصل ، ولم أجد لهذا الكتاب نسخا أخرى مخطوطة .

ولكننى عثرت على نسخة مطبوعة فى المطبعة الأميرية عام ١٢٩٨ هـ. وهى من مقتنيات مكتبة أستاذنا العلامة محمود شاكر — أطال الله بقاءه — وقد قمت بتصويرها حتى أستطيع مقابلتها على المخطوطة السابقة الذكر ، ولكن هذه النسخة مليئة بالأخطاء التى سيراها القارىء ، كما أنها غير مضبوطة أو محققة ، فهى فى نظرى لا تزيد عن أن تكون ملتزمة بالأصل الذى طبعت منه دون تصرف ، ومن هنا تكون فائدتها الآن معدومة ، وإن كانت فى زمن طباعتها غير ذلك .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز [م]

ثم وجدت نسخة أخرى مطبوعة طباعة رديئة عام ١٣٢٩ هـ. بمطبعة جورجى غرزوزى بالإسكندرية ، وجاءت هذه الطبعة تحت عنوان « أدب

الندماء ولطائف الظرفاء » تأليف الكاتب البليغ والشاعر الناثر المجيد أبى الفتح محمود بن كشاجم (كذا) لا زال منهلا عليه إحسان ربه الدائم » هذا فى حين أن اسم الكتاب جاء فى مقدمة هذه النسخة هكذا « أدب النديم »

وقد أغفلت هذه النسخة كسابقتها كل شيء من حيث الضبط ، وتخريج الأبيات الشعرية ، وتحرير أسماء الأعلام ، والتعريف بها ، وهذه النسخة كسابقتها لاتفيد القارئ كثيرا ، وإن كانت هذه النسخة أسوأ من سابقتها فى كثرة الأخطاء .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز [ط] .

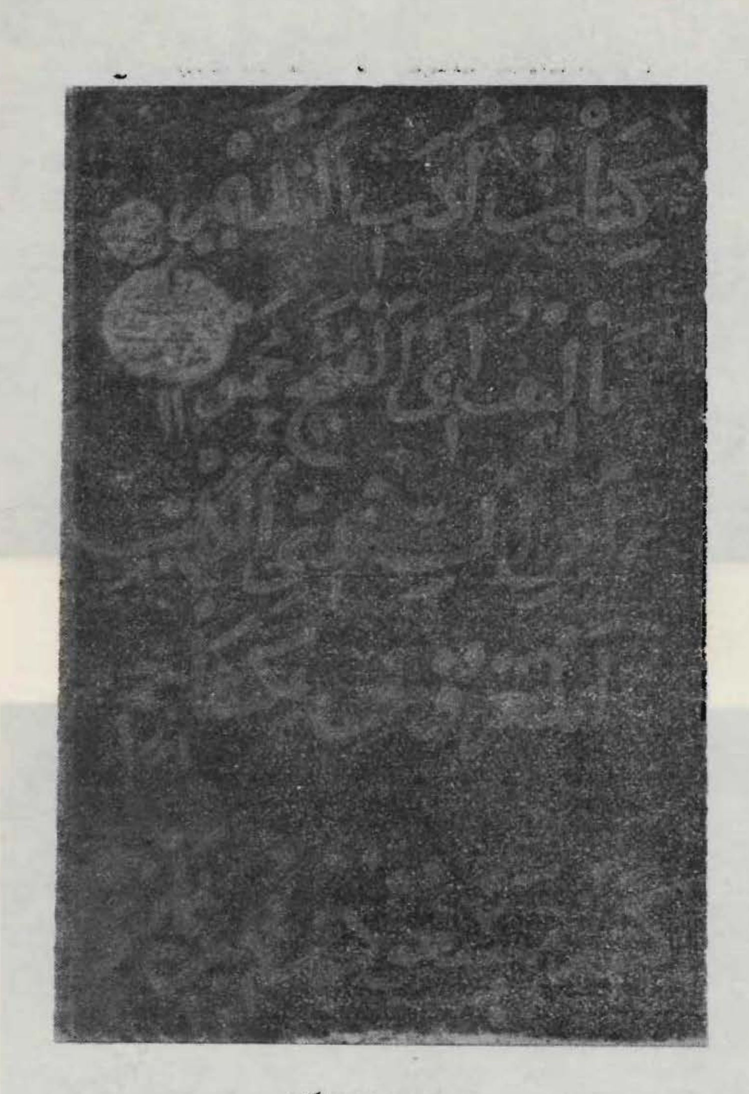
وسوف يرى القارئ الفطن مقدار الجهد الذى بذل فى سبيل إخراج هذا الكتاب إخراجا محققا مضبوطا ، مما يجعل الإفادة منه محققة إن شاء الله .

وأعتقد اعتقادا جازما أن إخراج أى عمل ثقافى فى صورة جيدة من الطباعة يجذب القارئ إلى القراءة ، ويوضح مقدار الجهد فيه من الناحيتين التحقيقية والمطبعية ، وإنى لأرجو أن تقوم مطبعة التقدم بهذا الجهد على خير وجه مما نألفه فى الكتب التى قامت بطباعتها .

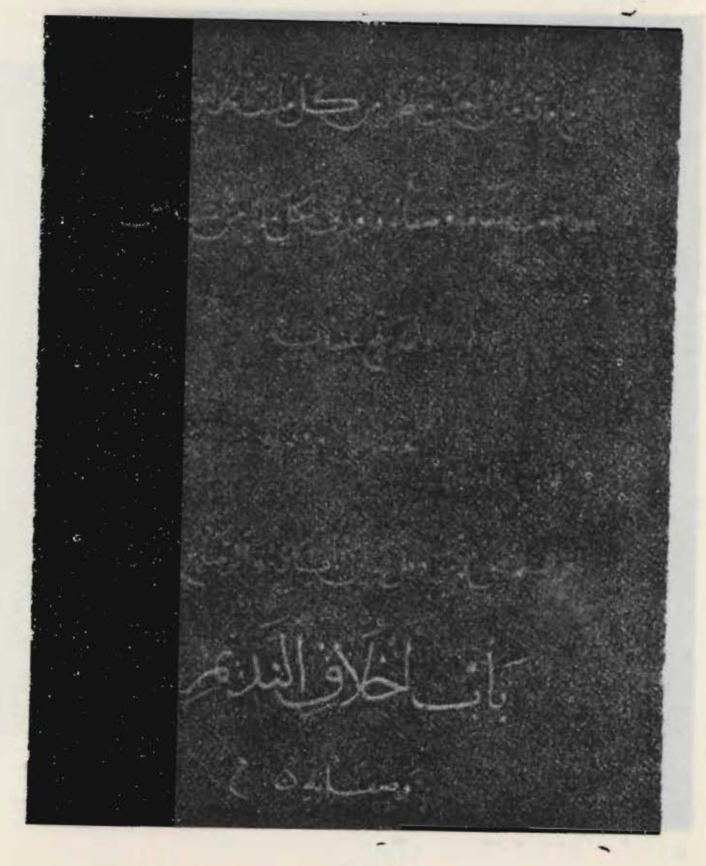
وأرجو من الله أن أكون قد وفقت فى عملى هذا ، وأن أوفق فى أعمالى المقبلة إن شاء الله ، وأن ينفع بهذا الكتاب وبغيره ، إنه سميع مجيب ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان

القاهرة
فى ٢ من ذى القعدة ١٤٠٦ هـ .
٩ من يولية ١٩٨٦ م.
عزبة النخل



صفحة عنوان الكتاب



الورقة [١١ – ظ]

[الورقة ١٢ – و]

باب هيئة النديم وما يلزمه

لرئيسه

وجملة أن يحضر بزي الموكب ولبسه الجوبه للمي

الظاهر الذي يعرف به ويشهد فيه المجالس الحافلة

من غير أن يتصل بشيء من ثيابه ولا يتشهر

فإن شاء الرئيس أن يغيره به ويكرمه

بشيء من ثيابه يخلع عليه الملون والمشهر من

[الورقة ٥٧ – ظ]

أثواب الدوام حسن أن يلبس ذلك في وقته

حتى ينقضي المجلس ولم يحسن أن يحضر فيه

ظاهرا في مجلس آخر لأنه متى كان الرئيس

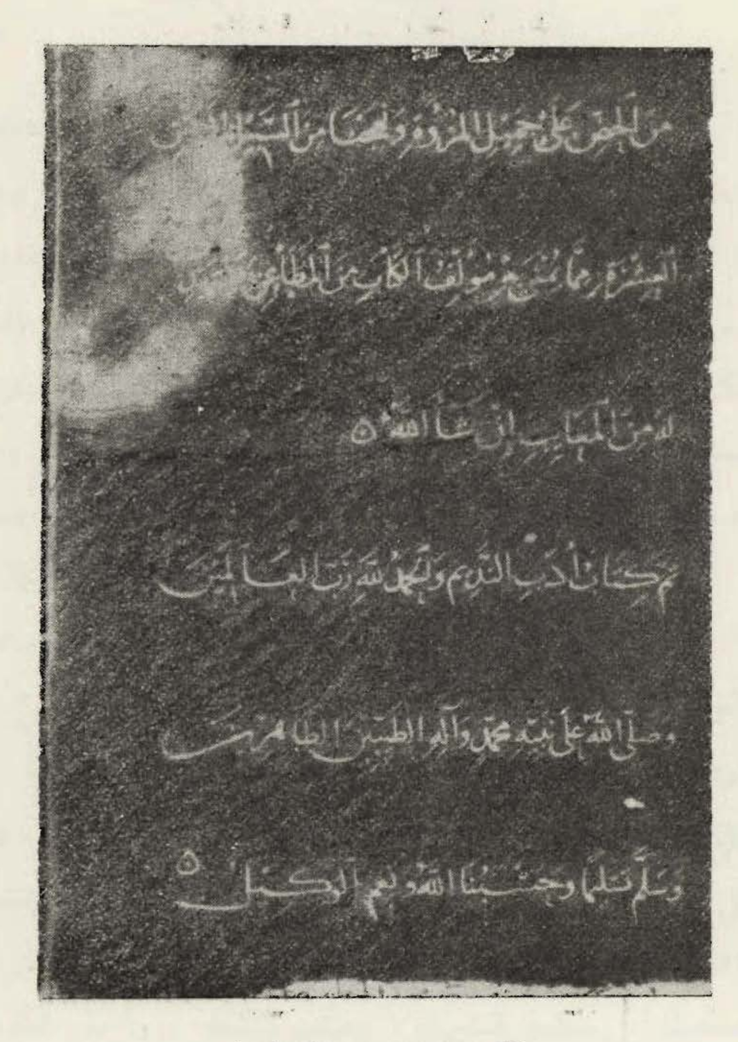
اختاره في ساعة طربه وسروره لا في كل أوقاته

فأما العمامة والخف فسبيله الأجمل أن يلبسهما

وله أن يلطفهما ويعففهما وإنما الكرم في ملابسهما

[illegible]

[الورقة ٥٨ – و]



من الحرص على جميل [illegible]

[illegible] مؤلف الكتاب من [illegible]

له من المعايب إن شاء الله

تم كتاب أدب النديم والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين

وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل

آخر صفحة من المخطوط

أدب النديم

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله بكنه النية ، والثناء عليه بغاية الاستطاعة ، وشكره على ما خص به أهل الأدب من الفضيلة ، وأحلهم إياه من المنزلة الرفيعة ، لالتباسهم بالنفوس ، وتمكنهم من القلوب ، وتنزههم عن العيوب ، فإني وجدمن تقدم من العلماء ، وعنى بتأليف الكتب من الأدباء ، قد جردوا(١) [٢ـو] بذكر الشراب كتبا ضمنوها من نعوت أصنافه ، وأوصاف محرمه ومحلله ، وتبيين خصاله ولطائفه ، وحدود منافعه ومضاره ، وضروب ملاذه ومساره ، ما استغرقوا(٢) فيه المعنى ، واستوفوا(٢) به المدى ، وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره ، والتنبيه على منزلته وموقعه ، وإفراده من القول بما يبين عن فضله ، ويدل على محله إلا فى جُملٍ [٢ـظ] أدرجوها ، ولم يبسطوها ، ولُمَعٍ فى أطراف الكتب فرقوها ، ولم يؤلفوها ، فأحببت أن أجردَ فى ذلك كتابا أفصله وأبوبه ، وأوفّى كل معنى فيه حقه ، وأضمَّ إلى كل شكلٍ شكلَه ، وأجمع إلى ما تستنبطه(٤) القريحة أحسن ما وجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ، ومنظوم الشعراء ، ومنثور البلغاء ، وأخبار الظرفاء ،

---

(١) فى ص « جردو » .

(٢) فى ص « ما استغرقو » .

(٣) فى ص « . واستوفو »

(٤) فى م « تستطيبه » .

وأودعه من أدب [٣ـو] النديم مالا يستغنى عنه شريف ، ولا يجوز أن يخل به ظريف ؛ ليكون منهجا واضحا لمن نظر فيه ، وإماماً يقتدى به من وقع إليه .

وأسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال ، والسلامة من الزلل والعثار بمنّه وقدرته . (١)

* * *

(١) فى ط جاءت المقدمة بعد البسملة هكذا « الحمد لله وجل ثنائه (كذا) ، والصلاة والسلام على صفوة أنبيائه ، أما بعد فقد عن لى أن أجمع هذا الكتاب ، وأهذبه ، وأرتب مواضيعه ، وأبوبه ، وأوفى كل معنى فيه حقه ، وأضم إلى كل شكل شكله ، وأجمع إلى ما تستطيعه القريحة أحسن ما وجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ، ومنظوم الشعراء ، ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء ، وأودعه من أدب النديم ما لا يستغنى عنه شريف ولا يجوز أن يخل به ظريف ؛ ليكون منهجاً واضحاً لمن نظر فيه . وإماما يقتدى به من وقع إليه . وأسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال ، والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته » .

باب مدح النديم
وذكر فضائله وذم المتفرد (١) بشرب النبيذ

* * *

* — [٣ــظ] أخبرني جماعةٌ من الموثوق بهم في اللُّغة : أن العرب إنما سمَّتِ النَّديمَ نديماً ؛ لأنه يُندَمُ على فِراقِهِ .

* — وفَخَرَ امرؤُ القَيْسِ (٢) — مع شَرَفِه ومُلُوكِيَّته — بالندام (٣) فقال : [المتقارب]

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فى مُلكِهِ فَأَوْجَهَنِى وَرَكِبْتُ الْبَرِيْدَا (٤)

* — وقال المتقدمون : كاتِبُ الرَّجلِ لِسانُه ، وحاجِبُه وجْهُه وجَلِيسُه كُلُّه .

* — وقالوا (٥) : إذا وُلِّيْتَ عملاً فانظر مَنْ كَاتِبُك ، فإنما يَعرفُ

---

(١) فى م ط « المنفرد » .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى ، وكان أبوه قد ملك بنى أسد فظلمهم ظلمات شديداً ، فقتلوه ، ولما بلغه خبر قتل والده قال : ضيعنى صغيراً ، وحملنى ثقل الثأر كبيراً ، اليوم خمر وغداً أمر ، وطلب مساعدة قيصر فى الأخذ بالثأر ، ثم وشى به عند قيصر ، فألبسه حلة مسمومة تسببت فى وفاته .

طبقات فحول الشعراء ١/٥٢ ، ٨١ — ٩٦ والشعر والشعراء ١/١٠٥ والأغانى ٩/٧٧ والموشح ٢٦ والمؤتلف والمختلف ٩ ومعاهد التنصيص ١/٩ وجمهرة أشعار العرب ٦٥ ، ١١٣ وثمار القلوب ٢١٤ وخزانة الأدب ١/٣٢٩ وشرح القصائد السبع الطوال ٣ وديوانه ط دار المعارف .

(٣) فى ط « بالندم » .

(٤) ديوانه ٢٥٢ — وأوجهنى : جعلنى وجيهاً عند الناس .

(٥) القائل هو العتابى كما فى مروج الذهب ٤/١٦ .

مقدارَكَ مَنْ بَعْد [٤ـو] عنك بِكتَابِك ، واستعمِلْ حاجِبَك فإنَّه يَمْضى عليك الوفُودُ قَبْلَ الوصولِ إليك بحاجِبِك ، (١ واستظرِفْ نَديمَكَ فإنما يَزِنُكَ الدَّاخلُ إليك بمِثْقالِ مَنْ يَرَاه مَعَك . ١) .

* – وفاخَر كاتبٌ نديماً فقال الكاتبُ (٢) : أنا معونةٌ ، وأنت مَؤُونةٌ (٣) ، وأنا لِلجِدّ ، وأنت للهَزْل ، وأنا للشِّدةِ ، وأنت للَّذَّة ، وأنا للحرب ، وأنت للسِّلْم . فقال النديم (٤) : أنا (٥) للنِّعمةِ ، وأنتَ للخِدْمةِ [٤ـظ] وأنا للحُظْوة ، وأنت للمِهْنَة ، تَقُومُ وأنا جالس (٦) ، وتَحْتَشِم (٧) وأنا مؤانِسٌ ، تَدْأَبُ لِرَاحتى ، وتَشْقَى لِسَعادتى ، فأَنا شَرِيكٌ وأنتَ مُعِينٌ ، كما أنَّكَ تابعٌ ، وأنا قَرِين (٨) .

إلا أنَّ بعضَ البخلاءِ يقول : (٩) [المنسرح]

إذَا وَجَدْتَ الْمُدَامَ فَاغْنَ بِهَـا عَنْ كُلِّ مَنْ فِى نَدَامِهِ سُخْفُ
فِى شُرْبِهَا مِنْ نَدَامِهِ خَلَفٌ وَلَيْسَ فِيْهِ مِنْ شُرْبِهَا خَلَفُ (١٠)
فَلَا يُشَارِكْكَ فِى السُّرُورِ بِهَـا مُشَارِكٌ كُلُّ شِرْكَةٍ أَسَفُ (١١)

(١ – ١) ما بين القوسين جاء فى مروج الذهب هكذا « واستكرم واستطرب جليسك ونديمك ، فإنما يوزن الرجل بمن معه » .
(٢) سقطت كلمة « الكاتب » من ط .
(٣) فى م ط « مؤنة » .
(٤) سقط قوله « فقال النديم » من ط .
(٥) فى ط « وأنا » .
(٦) فى ط « وأنا أجلس » .
(٧) فى م ط « وأنت تحتشم » وما فى ص يوافق ما جاء فى مروج الذهب ونهاية الأرب .
(٨) جاء النص كله فى مروج الذهب ٤/١٦ ونهاية الأرب ٤/١٢٦ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٩) لم أعرف قائل الأبيات .
(١٠) فى ط « من ندمه » .
(١١) فى ص « لا يشاركك » ، واعتمدت ما فى م ط لصحة الوزن .

[٥ـو] فما زَادَ بهذا القولِ على أنْ بَيَّن(١) مكانَه من البُخْل والجَهْل ، بل هو فى ذلك كما قال أبو نُوَاس (٢) : [البسيط]

حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أشْيَاءُ (٣)

• – ولعَمْرِى إن لِلنَّبيذ الفضَائلَ التى لا تُدْفَعُ ، والخَصَائصَ التى لا تُجْحدُ ، والقُوى التى تَعْكِسُ(٤) الأضدادَ ، وتُعَدِّل المزَاج ، وتُصحِّح الطِّباع ، وهو الموصوفُ بتَشْجِيع الجَبَانِ ، وتَقْويةِ الجنَان ، وإطْلاقِ اللِّسان ، [٥ـظ] وتبسيطِ البَنَان ، إلا أنَّ فيه بإزاء هذه الخِلال أشياءَ تَقْدحُ فى محاسنه ، وتبين عن مَعَايبه : منها أن صاحبه يَتَكَرَّهُهُ قَبْل شُرْبِهِ ، ويُكَلِّحُ عند شَمِّه ، ويَغْتَم أن يفضل فى قَدحِهِ ، ويكثر عتاب ساقيه ، ويعاقر عليه ، ويمزجه ليغيِّر طَعْمه ، ويتجرَّعُه ولا يكاد يُسيغُه ، ويستعيذ بالنُّقل بعده ، ويعانى من الدُّوَارِ والخُمَارِ مالاخفاء(٥) به، حتى لقدقال بعضُ [٦ـو] الأُدباء : لولا أن المخمور(٦)

---

(١) فى ص « يبين » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٢) هو الحسن بن هانئ ، مولى الحكم بن سيد العشيرة ، ويكنى أبا نواس ، واشتهر بكنيته ، وقد انقطع إلى والبة بن الحباب ، ولما مات والبة لزم خلفا الأحمر ، وشعره متفاوت الدرجة ، وكان ماجناً خليعاً ت ١٩٨ هـ أو ١٩٩ هـ أو ٢٠٠ هـ .

الأغانى ٢٠/ ٦٠ والأغانى ٢٩/ ٨٩٣١ ط الشعب ، والشعر والشعراء ٢/ ٧٩٦ ، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٣٦ وطبقات ابن المعتز ١٩٣ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٨٣ ، والموشح ٤٠٧ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٩٥ ونوادر المخطوطات ٢/ ٢٩٦ والفهرست ١٨٢ ، ومسائل الانتقاد ١٣٣ وديوانه والأعلام ٢/ ٢٢٥ .

(٣) ديوانه ٧ والمذكور عجز بيت صدره :

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة

(٤) فى ط « لا تعكس »

(٥) فى ص « ما لا خفا » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٦) فى ط « الخمور » .

يَعْلم قصَّتهُ لقَدَّمَ وصيَّتَه ، ثم السُّكْرُ ، وهو أكبرُ عيوبِه ، حتى إن المِلَلَ كلَّها مُجْتمعةٌ على تحريمه غير مختلفة فيه ، وحتى لقد حرَّمَ الخمرَ فى الجاهلية جماعةٌ من كبراء العرب وأفاضلهم ، لِمَا نالهم من مَعَرَّة السُّكْرِ ، منهم قيسُ بن عاصم السعدى(١) ، وعامرُ بن الظَّرِب(٢) العدوانى(٣) ، وعفيفُ بن معديكرب(٤) ، ومِقْيَس بن [٦-ظ] ضبابة السهمى(٥) ، وعبد الله بن جدعان(٦) ، وكثير من هذه الطبقة نكره الإطالة بذكر أسمائهم .

---

(١) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى ، يكنى أبا على ، وقيل غير ذلك ، وهو أحد عقلاء العرب ، وأحد المشهورين بالحلم ، قدم على النبى — صلى الله عليه وسلم — فى وفد بنى تميم ، فلما رآه الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال : هذا سيد أهل الوبر ، توفى بالبصرة عام ٢٠ هـ .

الاستيعاب ٣/١٢٩٤ ، إمتاع الأسماع ١/٤٣٤ ، نهاية الأرب ٤/٨٨ ، سمط اللآلى ١/٤٨٧ ، الأعلام ٥/٢٠٦ .

(٢) فى م « بن لظرب » .

(٣) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر ين عدوان العدوانى ، كانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ثم رضوا بما قضى فيه ، ويقال : إنه عاش مائتى سنة .

سيرة ابن هشام ١/١٢٢ ، المعمرون والوصايا ٥٦ ، البيان والتبيين ١/٢٦٤ ، نهاية الأرب ٤/٨٩ ، الأمالى ١/٢٠٤ ، الأعلام ٣/٢٥٢ .

(٤) ورد ذكره فى الأمالى ١/٢٠٥ ، نهاية الأرب ٤/٨٩ ، وهو عم الأشعث بن قيس الكندى .

(٥) هو مقيس بن ضبابة بالمعجمة — كما فى معجم الشعراء ، أو ابن صبابة بالمهملة كما فى م ط ، وسيرة ابن هشام ، أو ابن حبابة كما فى ابن هشام ، ابن حزن بن سيار ، قدم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مظهراً الإسلام ، وطلب من الرسول الكريم دية أخيه الذى قتل خطأ ، فأمر له الرسول — صلى الله عليه وسلم — بدية أخيه هشام بن صبابة ، ثم أقام مدة ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم هرب إلى مكة مرتدا ، وقد أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — بقتله .

سيرة ابن هشام ٣/٢٩٣ ، ٤١٠ ، نهاية الأرب ٤/٨٩ ومعجم الشعراء ٤٣٤ والمختار من قطب السرور ٤٥٦ .

(٦) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب ... التيمى القرشى ، وهو ابن عم =

* – فلقيس بن عاصم فى تحريمها : [الوافر]

رَأَيْتُ الْخَمْرَ مُصْلِحَةً وَفِيْهَا خِصَالٌ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْكَرِيْمَا (١)
لأَنَّ الْخَمْرَ تَفْضَحُ شَارِبِيْهَا وَتَجْنُبُهُمْ بِهَا الْأَمْرَ الْعَظِيْمَا (٢)
إِذَا دَبَّتْ حُمَيَّاهَا تَعَلَّتْ طَوَالِعُ تَسْفَهُ الرَّجُلَ الْحَلِيْمَا (٣)

* – وقال مِقْيَس بن صبابة : [الوافر]

(٧–و] رَأَيْتُ الْخَمْرَ طَيِّبَةً وَفِيْهَا
خِصَالٌ كُلُّهَا دَنَسٌ ذَمِيْمُ
وَلَا وَاللهِ أَشْرَبُهَا حَيَاتِى طِوَالَ الدَّهْرِ مَا طَلَعَ النُّجُومُ (٤)

= أبى بكر الصديق ، وكان يسمى « حاسى الذهب » لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ،وكان أحد الأجواد المشهورين فى الجاهلية ، وحضر النبى – صلى الله عليه وسلم – إحدى مآدبه هو وأبو جهل ، وهما غلامان، فازدحما عليها فدفعه رسول الله ، فوقع أبو جهل على ركبته ، مما ترك أثرا كبيراً بها ، وقد أحفظ هذا أبا جهل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم–،وكان ابن جدعان أول من أدخل الفالوذج إلى مكة .

طبقات ابن سلام ١/٢٦٤ ، البيان والتبيين ١/١٧ ، الشعر والشعراء ٢/٦٤٥ ، الأمالى ٣/٣٨ نهاية الأرب ٤/٨٨ ، السيرة لأبن هشام ١/١٣٤ ، الأعلام ٤/٧٦ ، والمعارف صفحات كثيرة .

(١) فى الأستيعاب « صالحة » ، « الرجل الحليما » ، وفى نهاية الأرب « وجدت الخمر جامحة » ، « خصال تفضح » وفى الأمالى « مناقب تفسد » وفيه نسب البيت مع غيره إلى صفوان بن أمية .

(٢) فى الأستيعاب ونهاية الأرب « فإن الخمر » ، وفى ص « شاربها » وهو خطأ ، واعتمدت ما فى م ط والاستيعاب ونهاية الأرب ، وفى نهاية الأرب « وتجشمهم بها أمراً عظيماً » ، وفى ط والاستيعاب « وتجنبهم » .

(٣) فى نهاية الأرب « إذا دارت حمياها » .

(٤) فى معجم الشعراء والمختار « فلا والله » .

* — فأما مِقْيَسُ بن صبابة فإنه كان سَكِر(١) ، فجعل يَخُطُّ بِبَوْلِهِ ويقول : نَعَامة أوْ بَعِير ، فلما أفاق أُخبر بذلك فحرَّمَ الشَّراب .

* — وأما عبدُ الله بنُ جُدْعَان فإنه سَكِر وجعل يُسَاوِر(٢) الْقَمَر ، فلما أصْبح وخُبِّر بذلك حَرَّمَه أيضا .

* — وقيل [٧ — ظ] لأعرابى : أتَشْرَبُ النبيذ(٣) ؟ فقال : أشْرَبُ ما يشربُ عَقْلى .

* — وقيل لِبَاذُوق(٤) : لِمَ تَرَكتَ النَّبيذَ ؟ فقال : رأيتُ صاحبَهُ لا يَرْوَى منه ، ووجدتُ بعضَه يدعُو إلى بَعْض ، فتركتُ قَليلَهُ لكثيرِه .

* — وممَّنْ(٥) كان يشربُهُ للشَّهْوةِ الْغَالِبَةِ فقط ، ولا يُبَالى على أيِّ الحالات شَرِبَه ، منفردًا وَحْدَه(٦) ، أو مُجْتَمِعًا فيه مع غيره ، جماعة لا يُتَّهمُون(٧) فى عَقْلٍ [٨ — و] ولا رَأى ، إلا أنَّ إفْرَاطَهم فى هذه الشَّهوةِ أبْطَلَهم ، وغَلَبَ عليهم ، ففَسَدَتْ حالُ دُنْيَاهُم ودِينِهم .

---

(١) فى ط « فإنه سكر » .

(٢) فى ص كتب فى الهامش « المساورة : المواثبة » ، وقد قال عبد الله بن جدعان فى ذلك :

شربت الخمر حتى قال صحبى ... ألست عن السقاة بمستفيق ؟
وحتى ما أوسد فى منام ... أنام به سوى الترب السحيق
وحتى أغلق الحانوت رهنى ... وأنكرت العدو من الصديق

انظر نهاية الأرب ٤/٨٨ والمختار من قطب السرور ٤٥٦ .

(٣) فى م ط « تشرب » بحذف الهمزة .

(٤) فى م « لبياذوق » .

(٥) فى ط « ومنهم من كان . . . » .

(٦) فى ص « منفردا أو وحده » واعتمدت ما فى م ط .

(٧) فى ط « لا يهتمون » .

* – منهم أبو الهندى شبث بن ربعى التميمى(١) ، ومر به نصر ابن سيار الليثى (٢) ، وهو يميل سكرا ، فقال له (٣) : أفسدتَ شرفَك ، فقال : لَوْ لَمْ أُفْسِدْ شَرَفى لم تكن أنتَ وَالىَ خراسانْ .

* – وحَارِثَةُ (٤) بن بَدْر الغُدَانىّ (٥) ، وكان غَلَبَ على زِيَاد ، وغلب الشرابُ عليه [٨ – ظ] فعُوتب زيادٌ فى الاستشار به ، فقال: كيف أطّرح رجلا هو(٦) يُسَايرنى منذ دخلتُ العِراقَ ، فلم تَصْطَكّ(٧)

(١) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى اليربوعى ، أو غالب بن عبد القدوس ، كان شاعراً مطبوعا ، وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، وكان منهوماً بالشراب مستهتراً به ، واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وفى ط « شبث بن سيار ربعى » وهو خطأ ، مات فى حدود سنة ١٨٠ هـ بخراسان .

الأغانى ٢٠/٣٢٩ ، طبقات ابن المعتز ١٣٦ ، الشعر والشعراء ٢/٦٨٢ ، نهاية الأرب ٤/٩٦ ، فوات الوفيات ٣/١٦٩ ، أدب الكتاب ٦٦ وفيه اسمه أشعث اليربوعى ، سمط اللآلئ ١/١٦٨ ، ٢٠٨ ، الوافى ٩/٢٧٦ ،

(٢) هو نصر بن سيار بن أبى رافع بن ربيعة الليثى تولى حكم خراسان فى عهد هشام بن عبد الملك ، فلم يزل والياً عليها حتى وقعت الفتنة ، فخرج يريد العراق ، فمات فى الطريق بناحية ساوة .

الشعر والشعراء ٢/٧٦ ، عيون الأخبار فى صفحات متفرقة منه ، المعارف ٤٠٩ وصفحات أخرى منه ، الوزراء والكتاب ٦٦ .

(٣) فى ط سقط « له »

(٤) فى ص « جارية » ، وفى ط « حادثة » وهو تصحيف فيهما ، والتصحيح من م والمصادر الآتية .

(٥) هو حارثة بن بدر بن حصين التميمى الغدانى ، قيل أدرك النبى – صلى الله عليه وسلم – وله أخبار فى الفتوح الإسلامية ، وكان من المختصين بزياد بن أبى سفيان ، وقد كلف بقتال الخوارج فى العراق فهزموه ، فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم سنة ٦٤ هـ .

عيون الأخبار فى أكثر من موضع ، والشعر والشعراء ٢/٧٣٨ ، نهاية الأرب ٤/٩٥ وفيه اسمه حارثة بن زيد العدوانى ، الأعلام ٢/١٥٨ .

(٦) فى ط « وهو يسايرنى » .

(٧) فى ط « يصطك » بالمثناة التحتية .

رِكاباه بركابى ، ولا تَقَدَّمَنى فنظرْتُ إلى قفاه ، ولا تَأَخَّر عَنِّى فَلَوَيْتُ عُنقى إليه ، ولا أخذَ علىَّ الشمس فى شِتاءٍ قطُّ ، ولا سَأَلتُه عن بابٍ من العلمِ إلَّا ظَننتُ أنه لا يُحْسِنُ غيره ؟ .

* — والوَلِيدُ بنُ عُقْبة (١) ، وكان أميرًا عَلَى الكُوفَةِ ، فصَلَّى بهم (٢) صلاةَ [٩ — و] الفَجْرِ ثلاثاً ، ثم الْتَفتَ إليهم فى وقتِ التَّسْلِيم فقال : أَحَسْبُكُم أو أَزِيْدُكم (٣) ؟ .

* — وأبو مِحْجَنِ الثَّقَفِى (٤) ، وكان مِحْرَباً (٥) مُغْرمًا بالشَّراب ، وله مع سَعْد (٦) بنِ أبى وقَّاص فِى الشَّراب أخبارٌ يَطُولُ شَرْحَها .

ومَنْ لم نَذْكر أسماءَهم من هذِه الطَّبقة كَثِير .

---

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، يكنى أبا وهب ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم فتح مكة ، وفيه نزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » توفى سنة ٦١ هـ .

المعارف ٣١٨ ، والشعر والشعراء ١/٢٧٦ ، الأغانى ٥/١٢٢ ، نهاية الأرب ٤/٩٠ ، الأعلام ٨/١٢٢ .

(٢) فى ط « فصلى عليهم » .

(٣) فى ط « وأزيدكم » .

(٤) هو عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف ، وكان مغرما بالشراب ، حده عمر مراراً فى الخمر ، وحده سعد بن أبى وقاص مرارا وحبسه وشهد القادسية فأبلى بلاء حسناً ، فقال سعد : والله لاحبستك فيها أبدا ، فقال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبداً ت ٣٠ هـ .

الشعر والشعراء ١/٤٢٣ ، نهاية الأرب ٤/٩٠ ، طبقات ابن سلام ١/٢٦٨ ، الأعلام ٥/٧٦ .

(٥) فى ص كتب تحتها « صاحب حروب » .

(٦) فى ط « سعيد » ، ومثل هذا فى نهاية الأرب .

* – فإذَا كانت هذه صُورَة النَّبيذِ فإنما يُغْتفر له ما ذكرنا (١) ، ويُتَجوَّز فيه ، ويُتَجافَى عنه ؛ لما بُنِيَ عليه ، وجُعِل سبباً إليه مِن [٩ – ظ] اجتماعِ الشَّملِ ، وأُنْسِ المُنادَمة ، وأرْيَحيَّة المذاكرة .

* – ولو آنْفردَ النَّبيذُ بنفسه ، وحُصِل عليه وحده دُونَ النَّديمِ المُسَاعد ، والسَّماعِ المُطربِ لكان الْوِعاءُ أوْلَى به ، فقد تَبيَّن بهذا أنَّ المُعَاقَر أفضلُ من العُقار ، والنَّديم فائدة المُدَام ، وأنشدنى(٢) منشد (٣) : [الخفيف]

لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا رَضَاعٌ وَلَكِنْ   وَلَّدَتْ بَيْنَنَا الْمُدَامُ رَضاعَا (٤)
إنْ يَكُنْ أوَّلُ الْمُدَامِ رَضَاعًا   أوْ يَكُنْ آخِرُ الْمُدَامِ صُدَاعَا (٥)
[١٠ – و] فَلَهَا بَيْنَ ذَا وَذَاكَ هِنَاتٌ   وَصْفُهَا بِالسُّرُورِ لَنْ يُسْتَطَاعَا (٦)

* – ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين (٧) :
[الوافر]

---

(١) فى ط « ما ذكرناه » .
(٢) فى ط « وأنشد لى » .
(٣) لم أستطع معرفة القائل ، على الرغم من ذكر الأبيات فى المصادر .
(٤) جاء البيت فى ديوان المعانى ١ / ٣١٨ بعد بيت غير مذكور هنا ، وفيه « ولكن صيرت »
(٥) فى المحاضرات ٢ / ٦٨٥ « دوارا » بدل « رضاعا » ، ويبدو لى أنه الأوفق ، وفى المختار من قطب السرور ٨٤ « كريها » بدل « رضاعاً »، « ويكن آخر » وهو صحيح من حيث الوزن .
(٦) البيت بنصه فى المحاضرات والمختار .
(٧) لم أعرف القائل ، والبيتان فى ديوان المعانى ١ /٣١٨ ، وفى المحاضرات ٢/٦٩٢ ، والمختار ٤٢٧ ، ونهاية الأرب ٤ /١٢٧ .

أَرَى لِلْكَأْسِ حَقًّا لَا أَرَاهُ   لِغَيْرِ الْكَأْسِ إِلَّا لِلنَّدِيمِ (١)
هُوَ الْقُطْبُ الَّذِى دَارَتْ عَلَيْهِ   رَحَى اللَّذَّاتِ فِى الزَّمَنِ الْقَدِيمِ

* — فأما قول أبى نواس(٢) — أمير هذا الشأن وفارسه :

[السريع]

[١٠ — ظ] خَلَوْتُ بِالرَّاحِ أُنَاجِيهَا   آخُذُ مِنْهَا وَأُعَاطِيهَا
نَادَمْتُهَا إِذْ لَمْ أَجِدْ مُسْعِدًا   أَرْضَاهُ أَنْ يَشْرَكَنِى فِيهَا (٣)

فهذا بعدُ إنما يَدُل على فضلِ النَّديم ، وأنه لم يَتَفرَّد بالنَّبيذ مختارًا ، وإنما توحّد(٤) به ضرورة لقوله : إنه لم يجد نديماً مُرْتضى ، أو ليس هو القائل :(٥)   [الكامل]

وَالرَّاحُ طَيِّبَةٌ وَلَيْسَ تَمَامُهَا   إِلَّا بِطِيبِ خَلَائِقِ الْجُلَّاسِ (٦)

* — ولم تُفْتَتح أبياتٌ فى مدحِ نَديمٍ أحْسَنَ من قولِ [١١ — و] ابن (٧) مُسْهِر الطائى (٨) :   [الوافر]

---

(١) فى يوان المعانى « أرى الراح » و « لغير الراح »
(٢) فى ط « فأما أبى نواس » (كذا) .
(٣) البيتان بنصهما فى ديوانه ١١٤ ، وفى م ط « أرضاء » بدل « أرضاه » وهو خطأ مطبعى.
(٤) فى ط « وإنما توجد » .
(٥) ديوانه ١٠٥ .
(٦) فى الديوان « فالراح » ، وفى م « الراح » .
(٧) فى ص م ط « أبى مسهر » وهو خطأ . انظر التعليق الآتى .
(٨) هو البرج بن مسهر بن الجلاس أحد بنى جديلة ، ثم أحد بنى طريف بن عمرو بن ثمامة . . . وينتهى نسبه إلى طئ أحد معمرى الجاهلية .
المؤتلف والمختلف ٨٠ وشرح ديوان الحماسة ١٢٧٢/٣ والحماسة ٣٤/٢ والأمالى ٢٨٩/٢ ، والأعلام ٤٧/٢ .

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا ... سَقَيْتُ وَقَدْ تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ (١)

* — ولِلعَطَوِى(٢) أشعارٌ كثيرةٌ فى النِّدامِ ، كلها مختارة ، فمنها : [الطويل]

يَقُولُونَ قَبْلَ الدَّارِ جَارٌ مُوَافِقٌ ... وَقَبْلَ الطَّرِيْقِ النَّهْجِ أُنْسُ رَفِيْقٍ

فَقُلْتُ : وَنَدْمَانُ الْفَتَى قَبْلَ كَأْسِهِ ... وَمَا حَثَّ سَيْرُ الْكَأْسِ مِثْلُ صَدِيْقٍ(٣)

وقال أيضا : [الكامل]

[١١ — ظ] الرَّاحُ وَالنَّدْمَانُ أَحْسَنُ مَنْظَرًا ... مِنْ كُلِّ مُلْتَفِّ الْحَدَائِقِ رَائِقِ

فَإِذَا جَمَعْتَ صَفَاءَهَا وَصَفَاءَهُ ... فَاقْذِفْ بِكُلِّ مُلِمَّةٍ مِنْ شَاهِقٍ (٤)

* — ولقد مَلُحَ عِصَابَةُ الْجَرْجَرَائِىْ (٥) فى قوله : [الكامل]

إِقْرَأ السَّلَامَ عَلَى الأَمِيرِ وَقُلْ لَهُ : ... إِنَّ الْمُنَادَمَةَ الرَّضَاعُ الثَّانِى (٦)

* * *

---

(١) فى المؤتلف والحماسة وشرح ديوان الحماسة « سقيت إذا . . . » .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية ، يكنى أبا عبد الرحمن ، بصرى المولد والمنشأ ، وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية ، اتصل بأحمد بن أبى دؤاد ، وتقرب إليه بمذهبه ، وتقدمه فيه بقوة جداله عليه . ت ٢٥٠ هـ .

الأغانى ٢٣/١٢٣ ومعجم الشعراء ٣٧٧ وطبقات ابن المعتز ٣٩٤ وسمط اللآلى ١/١٤٠ و ٣٣٩ و ٢/٨٥٥ والمصون ٧٨ ، والفهرست ٢٣٠ ووفيات الأعيان ٦/٣٩ فى أثناء ترجمة أبى البحترى والوافى ٣/٢٢٥ وتاريخ بغداد ٣/١٣٧ والأعلام ٦/١٨٩ .

(٣) البيتان فى المحاضرات ٢/٦٩٣ بنصهما ، وهما غير منسوبين فيه ، وقد نسبا للعطوى فى المختار ٤٢٧ وفيه « فما حث كأس المرء مثل صديق » .

(٤) البيتان فى المختار ٤٣٠ ، وفيه «فإذا جمعت صفاتها وصفاته» ، «بكل ملمة من حالق» .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن إسماعيل الكوفى ، وقيل إسماعيل بن محمد ، ويكنى أبا إسحاق ، ورد ذكر اسمه فى أخبار أبى تمام وأدب الكتاب ، وفى المختار قيل : ولقد أحسن الجرجانى . وهو خطأ .

طبقات ابن المعتز ٣٩٨ .

(٦) فى طبقات ابن المعتز ٣٩٩ « إن المدام هى الرضاع الثانى » ، وفى المختار « إقرا السلام على الأمين . . . »

باب

أخلاق النديم وصفاته

* * *

* — [١٢–و] وليس أحدٌ من أصحابِ الملوكِ وخُلَطائِهم هو أوْلى باسْتِجْمَاعِ محاسِنِ الأخْلاق ، وأفاضِلِ الآدابِ ، وطَرَائِفِ(١) المُلَحِ ، وغَرائِبِ النتف = من النديم ، حتى إنَّه لَيَحْتَاجُ أن يكونَ فيه أشياءُ مُتَضَادة ، فيكون فيه مع سَرْوِ(٢) الملوك تواضُعُ العبيد ، ومع عَفَافِ النُّسَّاكِ مُجونُ الْفُتَّاك ، ومع وَقَار الشُّيُوخ مِزَاح(٣) الأَحْدَاث .

وكلٌّ واحدةٍ [١٢ – ظ] من هذه الخِلال هو مضطر إليها فى حالٍ لا يَحْسُنُ أن يُخلَّ بها فيها ، ووقت لا يَسَعُه العُدولُ عنها ، وإلى أن يجتمع(٤) له من قُوةِ الخَاطر ما يَفْهم به ضميرَ الرَّئيس الذى يُنَادِمه ، على حَسَب ما يَبْلُوه من أخلاقِهِ ، ويعلم من معانى لَحْظِه وإشارَتِه ما يُغْنيه عن تَكَلُّفِ عبارته والإفصاح به ، فيسبقه إلى شهوته ، ويَبْدره إلى إرادته ، كما قال بعضُ الكتاب(٥) : [الخفيف]

---

(١) فى ط « وظرائف » بالظاء المعجمة .

(٢) فى م ط «شرف» ، والسرو : المروءة والشرف .

(٣) فى ط « مراح » بالراء المهملة .

(٤) فى ط « تجتمع » بالمثناة الفوقية .

(٥) لم أعرف القائل .

[١٣–و] وَنَدِيمٍ حُلْوِ الْحَدِيثِ يُجَارِيـ
ـكَ بِمَا تَشْتَهِيهِ فِى مَيْدَانِكْ

أَلْمَعِيٌّ كَأَنَّ قَلْبَكَ فِى أَضْـ ـلَاعِهِ أَوْ كَلَامَهُ بِلِسَانِكْ (١)

• — ومِنْ صفةِ النَّدِيمِ أن يَجْمعَ إلى الصَّبرِ على مَضضِ الجُوعِ احْتِمَالَ كِظَّةِ الازْدِيادِ عَلَى الشِّبَعِ ؛ لأَنه مَدفوعٌ إلى مُؤاكلةِ أحدِ رجلين : إمَّا سَخِيّ شديد الْمَحَبَّة لأَن يُؤْكلَ طَعامُه ، فيطالبه بالإكثار ، وَمُسَاعَدته عليه ، ومُسَاوَاته فيه ، فإذَا فعلَ ذلك حَظِيَ عنده [١٣ – ظ] وَقَرُبَ من قَلْبه بالمُشَاكلة ، فإن قَصَّر أنزلَ ذلك منه على التَّبخيْل(٢) له ، وتعَمُّد التَّنْغيصِ عليه ، فيكون حَالُه فيه (٣) كحَالِ مُحمدِ ابن عبد الملك الزيات (٤) ، فإنه قال : أُعِيْنَ عَلَيَّ أحْمدُ ابنُ أبى دُؤاد(٥) بأَشياء لَمْ أُعَنْ عليه بِمِثْلِها ، حتى إنَّه أُعِين عَلَيَّ فى تمكُّن

---

(١) البيتان فى نهاية الأرب ٤/١٢٧ غير منسوبين ، وفيه « أو كلامه فى لسانك » .

(٢) فى ص « التخيل » وفى ط « التبجيل » واعتمدت ما فى م .

(٣) فى ط سقط « فيه » .

(٤) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبى حمزة الزيات ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن الزيات ، وزر للمعتصم والواثق وكان بينه وبين أحمد ابن أبى دؤاد عداوة فأغرى به المتوكل الذى حبسه وعذبه حتى مات وكان أديباً شاعراً ، وكان من العقلاء الدهاة . ت ٢٣٣ ﻫ

الأغانى ٢٣/٤٦ وتاريخ بغداد ٢/٣٤٢ والفهرست ١٣٦ ووفيات الأعيان ٥/٩٤ ومعجم الشعراء ٣٦٥ ك خزانة الأدب ١/٤٤٩ ومروج الذهب ٤/٤٧ و ٨٨ والوافى ٤/٣٢ والأعلام ٦/٢٤٨ وما فيه من مراجع .

(٥) هو أحمد بن أبى دؤاد بن جرير بن مالك الإيادى ، يكنى أبا عبد الله ، وكان رأس فتنة القول بخلق القرآن ، كان شديد الدهاء محباً للخير ، اتصل بالمأمون وأخيه المعتصم الذى جعله قاضى قضاته ، وكان الواثق يثق فيه ثقة تامة ، وأصيب بالفالج فى أول عهد المتوكل ، توفى ببغداد عام ٢٤٠ ﻫ . و ط « ابن أبى داود » .

تاريخ بغداد ٤/١٤١ ووفيات الأعيان ١/٨١ والنجوم الزاهرة ٢/٣٠٢ وثمار القلوب ٢٠٦ ومروج الذهب ٤/٩٦ والفهرست ٢١٢ ، والأعلام ١/١٢٤ وما فيه من مراجع .

حالِه عند الواثق بأنه كان طيّبَ الأكل ، طَحُونَ الضِّرْسِ (١) ، هضُومَ المعدة ، وكنتُ على خلاف ذلك [١٤ – و] فحضرتُه يؤاكل الواثق ، وليس معهما ثالث ، ودعاني الواثق إلى الطّعام ، فأقبلتُ أنتَزُّ (٢) على حسبِ عادتى ، وخمودِ شهوتى ، وهما يتباريان فى تكبير اللُّقم ، وجَوْدة الأَكْل ، فلما رأى أحمدُ ذلك مِنّى قال : يا أمير المؤمنين ، ما جُلوسُ هذا المحتمى معنا يُحصِى علينا اللُّقم ؟ ! أمَا أكَلَ كما نأكلُ (٣) فوفّانا (٤) حقَّ المؤاكلةِ ، ولم يحشِّمْنا ، أو نهض ، فتفرَّدَ بمؤاكَلة أمير المؤمنين [١٤ – ظ] مَنْ يُحْسِنُ حضورها ، ويقابلها بما يُشْبِهها ؟ فقال الواثقُ : قد صدَقَ أحمدُ ، فكل ، أودع ، فما تمالكتُ أن نهضتُ .

أو لئيمٌ طعامُه عنده بمنزلةِ سَمْعِه وبَصَرِه ، فإنْ أسرعَ فيه أو تَنَاول أطايِبَه ، فكأنما يأكلُ من جَوَارحِه ، فهو مضطر إلى أنْ يُجاهدَ نَفْسَه ، ويغالبَ طباعَه ، حتى يألَفَ هاتين الحالتين ، ويجرىَ على هاتين العادتين ، فيكون حينئذ أتمَّ فى [١٥ – و] آلات(٥) النّدام ، وأقْهرَ لسلطان الشهوة ممن يعتمد على تقديم الأَكل فى مَنْزله .

* – ويَتَعلل بمثل ما رأيْنا جماعةٌ (٦) من المُتَرسِّمين بالنّدام

---

(١) فى ط « طحون الدرس » .
(٢) فى م ط « أنفر » بالفاء .
(٣) فى ص « تأكل » بالمثناة الفوقية واعتمدت ما فى م ط .
(٤) فى ط « فوافانا » .
(٥) فى ط سقط « آلات » .
(٦) فى ط سقط « جماعة » .

يَسْتعملونه من اتخاذِ المخازن مملوءَةً أدْهانا فى خِفافِ غِلْمانهم ، أو اللفات مُدْرَجة فى المناديلِ إذا أمكنهم ذلك ، فإذا مَضَّهم(١) الجوعُ ، وشَحَذهم الشَّرابُ تغَنَّموا الغَفْلة وانتهزُوا الفُرْصةَ ، فتناولُوا مَا أعدُّوا من ذلك فى الخَلَوات .

* وربما [١٥ ـ ظ] كان فى المذاهب وما أشبهها من المواضع الخسيسة ، وكلُّ ذلك قبيحٌ جدا .

* ـ وفيه أشياءُ مذمومة : منها : أنه لا يُؤْمن أن يطلع عليها بعضُ حاشية المُنَادم فينهيها إليه ، فيوغِر بقلبه ، ويُحْفظه ، ويُرى أنه فى ذلك الفعل قد هجاه وبخَّله ؛ لأنه ليس كلُّ ذى خُلق دنِىء يعترف به من نفسه ، بل كثيرٌ من ذوى العيوب يَعْمى عن عيوبه ، أو يتعذر(٢) [١٦ ـ و] الموْضِع الذى يُؤخذ مثل ذلك فيه فينال جسمُه من الضرر بمفارقة العادة ، وفَقْدِ النَّفْس شيئا قد تطلَّعت إليه ، وتشوَّفَتْ له إمَّا بعلَّةٍ أو مرض ، أو يُحلِّفه رئيسُه ، ويُقسم عليه ألَّا يأْكل إلا معه ، فيَضْمن له ذلك ، ويعده به ، ثم يخالف(٣) فيكون قد خان ونَكثَ .

* ـ وكان عيسى بنُ جَعفر الهاشمى (٤) يفعلُ هذا مع الرَّشيد

---

(١) فى ط « فضهم » .
(٢) فى ط « يعـذر » .
(٣) فى م ط « ويخالف » .
(٤) يبدو لى أن المقصود هو عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وهو أخو زبيدة زوجة هارون الرشيد ، وابن عم الرشيد ، وكان من الأمراء الذين تولوا البصرة ، بعثه الرشيد =

كثيرًا، وكان الرشيدُ يثلبه(١) . عليه [١٦ ـ ظ] ويذمُّه ، ويبكِّته (٢) به ، فمِنْ ذلك أنه قال له في بعضِ العَشِيَّات ولجماعةٍ من جلسائه : قد اشْتهيتُ أنْ آكل في صبيحة (٣) غدٍ هَريسةً ، وقد تقدَّمتُ باتخاذها ، ولا يخلط بها غيرها ، فاعملوا على البكورِ ، وأجِمُّوا أنْفُسَكم الشَّهوة (٤) ، ووفِّروها على الهريسة ، وكان بعضُهم مُلازماً لعيسى خصيصًا به ، فحكى أنه غَلَّس إلى منزله ، ولم يكن يُحْجبُ [١٧ ـ و] عنه ، فألفى(٥) عيسى جالساً بين يديه بقيةُ شمعة وطبقٌ كبير عليه طيفوريتان (٦) عظيمتان(٧) : إحداهما مملوءة(٨) هريسةً ، وفي الأُخرى ثلاث غضارات (فيهن مُرِّى) (٩) ودار صيني وفلفل ورقاق لطاف لا تَنْفُصِل عن الكَفِّ ، وهو يأْخذُ الرقاقة فيملؤُها ، ثم يُمِرُّها على تلك الغضارات ، ويَزْدَرِدُهَا ، قال : فقلتُ : يا سبحان الله ، أنَسِيْتَ ما اتَّفقتَ (١٠) عليه مع أمير المؤمنين؟ [١٧ ـ ظ]

=عاملا على عمان في ستة آلاف مقاتل ، فانهزم وحبس حتى مات في حبسه ،وفي سنة موته خلاف فقيل ١٨٥ وقيل ١٩٢ هـ.

تاريخ الطبري حـ ٨ ، والكامل في التاريخ حـ ٦ في صفحات كثيرة منهما ، والمعارف ٣٧٩ ، والأعلام ٥ / ١٠٢ . .

(١) في ص « يلبسه » واعتمدت ما في م ط .

(٢) في ص « وينكته » واعتمدت ما في م ط .

(٣) في ص « صبخة » واعتمدت ما في م ط .

(٤) في ط « وأجمعوا الشهوة » .

(٥) في ط « فألقى » بالقاف .

(٦) الطيفور : طوير صغير .

(٧) في ط سقط « عظيمتان » .

(٨) في ط « أحدهما مملوئة » (كذا) .

(٩) ما بين القوسين زيادة من م ط ، والغضارة القطاة ، والمرى – كدرى – إدام يؤتدم به كالكامخ . انظر القاموس واللسان .

(١٠) في ط « أتفقنا » .

فقال : لا تعجبْ ، فهذه الطيفورية الثالثة ، فأمسكتُ يده ، وجذبتُ الطبق ، وجَبَرتُه على غَسْلِهَا ، ورَكِبنَا ، فوافَيْنَا أميرَ المؤمنين جالسًا على حصيرِ الصلاة حين انْفَتَل(١) من صلاته ، وهو يَسْتَتِمُّ تَسْبِيحَه ، وروائحُ الهريسةِ قد مَلأَتِ الدَّار ، فقال : لقد أبْطَأْتُمَا ، ودعا بالطعام ، فأُحضِر ، فاندفع عيسى يأْكلُ كأنه لم يذقْ شيئًا منذ أيام ، فلم أتَمالكْ أنْ ضحكتُ ، فقال الرشيد : [١٨ — و] ما هذا ؟ قلتُ : لأَصدقَنَّ أميرَ المؤمنين عن خبر عيسى ، قال : إيه ، قلتُ : كان من أمره كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : أتراني شككتُ فى أنه يَفْعلها ؟ إعلم أنه لو لم يفعلْها (٢) لأَكلنى وأكلك .

* — فأَمَّا العبثُ والمُزَاحُ فله من المُنَادمِ موقعٌ لطيفٌ ومحلٌّ خصيص إذا تَبَيَّنَ النديمُ منه نشاطاً لذلك .

* — وقال قائلٌ للمأْمون : أيأْذنُ أميرُ المؤمنين فى المُدَاعَبةِ ؟ قال : [١٨ — ظ] وهل العُيْشُ إلا فيها ؟ ! .

* — وقَدِمَ العَتَّابِى (٣) عليه ، وعنده إِسْحاقُ بنُ إبراهيم

---

(١) فى ط « لنتل » (كذا)

(٢) فى م ط « يفعل » .

(٣) هو كلثوم بن عمرو من ولد عمرو بن كلثوم التغلبى صاحب المعلقة ، وقاتل عمرو بن هند ، يكنى أبا عمرو ، وكان شاعراً محسناً ، وكاتباً فى الرسائل مجيداً ، له ألفاظ تثبت وتدون ، رمى بالزندقة ، فطلبه الرشيد ، ثم عفا عنه ت ٢٢٠ هـ .

الشعر والشعراء ٢/٨٦٣ ومعجم الشعراء ٢٤٤ والأغانى ١٣/١٠٩ وطبقات ابن المعتز ٢٦١ وتاريخ بغداد ١٢/٤٨٨ ومعجم الأدباء ١٧/٢٦ ومروج الذهب ٤/١٤ والموشح ٤٤٩ والبيان والتبيين فى صفحات كثيرة من أجزائه ، والفهرست ١٣٤ ووفيات الأعيان ٤/١٢٢ وفوات الوفيات ٣/٢١٩ والأعلام ٥/٢٣١ .

المَوْصِلى (١) ، فسلَّم وَرَدَّ عليه ، وجَلَس ، وأقْبلَ يسأله عن حاله ، ويُجيبُه بلسانٍ ذَلْقٍ (٢) فاستظرفه ، وأخذ معه فى مُداعبته ، فَظَنَّ الشيخُ أنه قد استَخَفَّ به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الإينَاسُ قَبْلَ الإبْسَاسِ ، (٣) ثم أخذُوا فى المُفَاوَضَةِ والحديث .

وأغْرَى المأمونُ إسْحَاقَ بِالْعَبثِ (٤) بالعَتَّابِى ، فأَقبل يُعَارِضُه فى كل ما يَذكرُهُ ، [١٩ — و] ويَزيدُ عليه ، فعَجبَ منه ، ثم قال : أيأذنُ أميرُ المؤمنين فى مَسْأَلةِ هذا الإنسان عَن اسْمِه ونسبِه ؟ قال : افْعَلْ ، فقال له (٥) العَتَّابِى : مِمَّن أنت ؟ وَمَا اسْمُك ؟ قال : أنا من النَّاس ، واسمى كُلْ بَصَلْ ، فقال العَتَّابى : أمَّا النِّسبةُ فمروفةٌ ، وأمَّا الاسمُ فمُنكَرٌ (٦) ، وَمَا كُلْ بَصَلْ من الأَسماء ؟ قال إسحاق : مَا أَقَلَّ إنْصَافك ! وَمَا كُلْثُوم من الأَسماء ؟ . البصلُ أطْيبُ من الثَّوْم ، فقال [١٩ — ظ] العَتَّابِى : لله دَرُّك ، مَا أرْجَحَك ! ، ما رأيتُ يا أمير

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان . الموصلى ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن النديم ، وكان الرشيد يكنيه أبا صفوان ، كان من العلماء باللغه والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وكان من ندماء الخلفاء ، وكان الغناء أصغر علومه ، وأدنى ما يوسم به ، وإن كان غلب عليه . ت ٢٣٥ هـ .

الأغانى ٥/١٩١٢ ط الشعب والفهرست ١٥٧ وطبقات ابن المعتز ٣٥٩ وشذرات الذهب ٢/٨٢ ووفيات الأعيان ١/٢٠٢ وتاريخ بغداد ٦/٣٣٨ ومعجم الأدباء ٦/٥ والوافى ٨/٣٨٨ ونزهة الألباء ١٣٢ وإنباه الرواه ١/٢١٥ ، والأعلام ١/٢٩٢ .

(٢) فى ص « دلق » بالمهملة وهو تصحيف ، وفى م ط « طلق » ، وفى الأغانى « ذلق طلق » . والذلق : الطلق .

(٣) الإبساس : الزجر .

(٤) فى ط « بالعبت » بالمثناه وهو تصحيف .

(٥) فى م ط سقط « له » .

(٦) فى ط « فمنكور » .

المؤمنين كالرَّجل قطّ ، أفيأْذنُ لى فى (١) صلته بما يوصِل (٢) به أمير المؤمنين ؟ ، فقد والله غلبَنِى ، فقال المأمونُ : بل هو مُوفَّر عليك ، ونأمرُ له بمثله ، ونهضا ، فانصرف إسحاق بالعَتّابى إلى منزله ، ونادَمَه بقيَّةَ يَوْمِه . (٣)

* — ومِمَّا يَزيدُه فى المَحَلِّ تَقَدُّمًا ، وعند مَلِكه ورئيسه تعظيمًا (٤) وتمكُّنًا أن يكونَ عالمًا بكل ما يَتَنافَسُ فيه [٢٠ — و] : الملوكُ ، ويُغَالون (٥) فيه من الرَّقيق الثَّمين ، والجَوْهَر النَّفِيس ، والآلات المحكمة ، وأنواعِ الطِّيبِ والفُرُش (٦) ، إلى غير ذلك من الخَيْل والسِّلاحِ ، وسَائرِ مَا يُهْدَى مِثلُه (٧) إلى المُلوك فى مَجَالِسِ لَذَّاتِهم ، وتُعرضُ عليهم أوقات نَشاطِهم .

* — فَمَنْ أبْرَدَ من النَّديم مجلسًا ، وأكسَفُ (٨) منه بالاً إذا عُرِضَ على المَلِكِ شىءٌ من هذه الأَعْلاقِ فاعْتمدَ فيها على معرفته ، واستعانَ على تَخَيُّرِها ببصرِه [٢٠ — ظ] ورَجَعَ فى استفادتِها إلى نظرِهِ وتلقيه (٩) فلم يُحِرْ جوابًا فى ذلك ، ولم يُحِطْ بشىءٍ منه علمًا .

---

(١) فى ط سقط « فى »
(٢) فى م ط « يصله » وهو خطأ .
(٣) انظر القصة فى الأغانى ووفيات الأعيان وفوات الوفيات ومروج الذهب فى الأجزاء التى سبق ذكرها فى ترجمة العتابى .
(٤) فى ط « تعظما » .
(٥) فى ط « ويعالون » بالعين المهملة .
(٦) فى ط « والفراش » .
(٧) فى ط « منه » بدل « مثله »
(٨) فى م « أو أكسف »
(٩) فى ص « وتلقيبه » واعتمدت ما فى م ط .

* — ويُستطرفُ (١) منه أن يَصفَ اللَّونَ الغريبَ من الطَّبيخِ ، والصوتَ البديعَ ، والشِّعرَ الشَّجيَّ ، واللحنَ من الغناء ،

* — ورأيْتُ المِلاحَ من أهلِ هذه الطَّبقةِ يقولون : إن من لم (٢) يشْدُ عَشْرةَ أصواتٍ ، ويُحكم من غرائبِ الطبيخ (٣) عشرةَ ألوان لم يكن عندهم ظريفًا كاملاً ، ولا نديمًا جامعًا .

* — [٢١ — و] ولفتًى من الكُتَّابِ في هذا المعنى (٤) [الطويل]

تَعَالَوْا إلَى الْخِلِّ الَّذِى لَمْ يَزَلْ بِكُمْ
يَطُولُ عَلَى الزَّمَانِ [تِيهًا] وَيَشْمَخُ (٥)
فَقَدْ حَصَلَتْ عِنْدِى لَكُمْ فَتَعَجَّلُوا
ثَلَاثُ دَجَاجَاتٍ سِمَانٍ وَأَفْرُخُ
وَرَاحٌ وَرَيْحَانٌ وَمِسْكٌ وَعَنْبَرٌ
نُبَخِّرُ أَحْيَانًا بِهِ وَنُضَمِّخُ
وَمُسْمِعَةٌ كَالْبَدْرِ تَشْدُو بِصَارِخٍ
تَهَاوَى الْقُلُوبُ نَحْوَهُ حِينَ يَصْرُخُ (٦)

---

(١) فى م ط « ويستظرف » بالظاء المعجمة .

(٢) فى ص « إن لمن لم يشد » ، وفى ط « إن من ينشد » ، واعتمدت ما فى م .

(٣) فى ط « البطيخ » .

(٤) لم أعرف القائل .

(٥) فى ص و ط « يطول على الزمان ويشمخ » ، وأصلحته بما ترى ، وفى م « يطول على ريب الزمان » . ويبدو أن مصحح م زاد « ريب » ليتم الوزن ، ولكن الأحسن ما ذكرته .

(٦) فى ط « يشدو » بالمثناة التحتية ، وفى م ط « تهادى القلوب » .

وَهَـا أنَـذَا طَبَّـاخُكُمْ وَلَرُبَّمَـا
رَأَيْتُ ظَرِيفَ الْقَوْمِ يَشْدُو وَيَطْبُخُ(١)

سِوَى أنَّـهُ لَا تَقْطَعُ اللَّحْـمَ كَفُّهُ
وَلَا هُوَ إنْ لَمْ تُوقَـدِ النَّارُ يَنْفُـخُ

[٢١ ـ ظ] وَإنِّى لَأَسْتَخْذِى لِأَهْلِ مَوَدَّتِى
وَأَزْهَى عَلَى أهْلِ الْمَعَـالِى وَأَبْذَخُ

* ـ وَلَا يستحقُّ النَّديمُ هذا الاسمَ حتى يكونَ لهُ جمالٌ ومروءةٌ ، أمَّا جَمالُه فنظافَةُ ثَوْبِهِ ، وطيبُ رائحته ، وفَصَاحةُ لسانه ، وأمَّا مروءتُه فكَثْرَةُ حَيَائِه فى انبساطٍ إلى جَميل ، ووقارُ مَجْلسِهِ مع طَلاقَةِ وَجْهِهِ فى غير سخفٍ ، ولا يَسْتكملُ المروءةَ حتى يَسْلُوَ عنِ اللَّذةِ .

* ـ وقيل للعتَّابى : [٢٢ ـ و] ما المروءةُ ؟ قال : تَرْكُ اللَّذَّةِ ، قيل له : فما اللَّذَّةُ ؟ قال : تَرْكُ المرُوءةِ .

* * *

(١) فى م « وها أنا ذا » وهى صورة توقع فى خطأ الوزن .

باب

التَّدَاعِى للمُنَادمة

* * *

* – قَدْ آثر بعضُ الظُّرفاءِ من إسْقاطِ التَّصنُّعِ فى هذا الباب ما هو ألْيقُ بالمؤانسةِ ، وأنْفَى للانقباضِ والحِشْمةِ ، ولو لم يكن فى الاحتفالِ من النَّقيصةِ والاقتضابِ من الفضيلة إلا أن المُحْتَفلَ قد ضيَّق [٢٢ – ظ] العذرَ على نفسه فى تَقْصيرٍ إن كان منه ، والمقتضبَ مُغْتفر له ذالك لكفى به .

* – ورُوِى أن رَجلًا دعا أميرَ المؤمنين علىَّ بنَ أبى طالب عليه السلام ، فقال : آتيك على أن لا تَدَّخِر عنا ما عندك ، ولا تَتكلَّف لنا ما ليس فى وُسْعِك .

* – وقال المأمون لِجَعْفَرَ بنِ سليمانَ (١) : الطِّيبُ والطَّعَامُ لا يَزِيْدُ (٢) فى جودتهما كثرةُ الإنفاقِ عليهما [٢٣ – و] ولكنْ إصابةُ المَعْنى . (٣) .

---

(١) هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا عبد الله ، ولى البصرة والمدينة المنورة ، وفى أثناء ولايته المدينة المنورة سعى عنده بالإمام مالك بن أنس ، فدعا به وضربه بالسياط وارتكب منه أمراً عظيماً ، وكان حاقداً على أخيه محمد بن سليمان ويسعى به عند الرشيد . ت ١٧٧ هـ .

المعارف ٣٧٦ و ٤٩٩ والكامل فى التاريخ حـ ٥ و ٦ فى صفحات كثيرة منهما وبخاصة ٦/١١٩ و ١٤٠ والبيان والتبيين فى مواضع كثيرة وعيون الأخبار كذلك .

(٢) فى ط « لا يزيدنى »

(٣) جاء ما يقرب من هذا القول فى البيان والتبيين ١/٢٢٧ منسوباً إلى جعفر بن سليمان ، وهو « ليس طيب الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل ، وإنما الشأن فى إصابة القدر » ، وقريب منه فى عيون الأخبار ٣/١٩٩ .

* — وكتبَ إليَّ صديقٌ لي (١) : [الخفيف]

قُمْ بِنَا نَقْتَضِبْ صَبُوحًا مَلِيحًا يُسْعِدِ اللهُ لِي بِكَ الْيَوْمَ جَدِّي (٢)
لَمْ أُبَيِّتْ لَهُ اعْتِزَامًا وَلَا قُلْـ ـتُ غَدًا كُنْ فَدَتْكَ نَفْسِي عِنْدِي
فَهْوَ طِيبًا وَمَوْقِعًا كَحَبِيـ ـبٍ جَاءَنِي زَائِرًا عَلَى غَيْرِ وَعْدِ

* — وحدثني بعضُ شيوخِنا عمَّن حَدَّثه أن ظريفًا (٣) من الكتّاب أحْسبه الحسنَ بنَ سَهْل (٤) بلغَهُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ يَزِيد (٥) عشيق أبي تَمَّام الطَّائي (٦) الذي يقول فيه : [الخفيف]

---

(١) لم أعرف القائل .
(٢) في م « يتسعد » « كذا » بنقطتين فوق وتحت الحرف .
(٣) في ص « طريفا » وهو تصحيف ، واعتمدت ما في ط .
(٤) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، يكنى أبا محمد ، كان وزيراً للمأمون ، ووالد زوجته بوران ، وهو أخو الفضل بن سهل ، وكانا من أهل بيت الرياسة في المجوس ، وأسلما مع أبيهما سهل زمن الرشيد ، ت ٢٣٦ هـ .
تاريخ بغداد ٧/٣١٩ ووفيات الأعيان ١/١٢٠ والوزراء والكتاب في صفحات كثيرة ، والفخري في الآداب السلطانية ٢٢٢ وصفحات أخرى منه والوافي ١٢/٣٧ وشذرات الذهب ٢/٨٦ والأعلام ٢/١٩٢ .
(٥) هو عبد الله بن يزيد بن المهلب الطرهباني من أهل الأنبار ، وهو كاتب أبي سعيد الثغري ، ثم كتب بعده لابنه يوسف .
أخبار أبي تمام ٢٦٥ ولم أعثر له على ترجمة أخرى . وفي الديوان ٤/٢٠٠ اكتفى بذكر أنه عبد الله الكاتب .
(٦) هو حبيب بن أوس الطائي ، ولد بجاسم من أعمال دمشق ، ونشأ بمصر ، يكنى أبا تمام ، واشتهر بكنيته ، وهو شاعر صاحب صنعة ، دقيق المعاني ، غواص على ما يستصعب منها ، ويعسر متناوله على غيره ت ٢٢٨ أو ٢٣١ أو ٢٣٢ هـ .
الأغاني ١٦/٣٨٣ وطبقات ابن المعتز ٢٨٢ وتاريخ بغداد ٨/٢٤٨ ووفيات الأعيان ٢/١١ وشذرات الذهب ٢/٧٢ والموشح ٤٦٤ وسمط اللآلي ١/٤٢٥ والفهرست ١٩٠ ، ومروج الذهب ٤/٦٨ وحسن المحاضرة ١/٥٥٩ ، ومعاهد التنصيص ١/٣٨ وخزانة الأدب ١/٣٥٦ والوافي ١١/٢٩٢ وأخبار أبي تمام ، والموازنة والأعلام ٢/١٦٥ .

[٢٣ ـ ظ] يَاسَمِىَّ النَّبِىِّ فِى سُورَةِ الْجِنْـــ

ـــنِ وَيَا ثانِىَ الْوُلَاةِ بِمِصْـــرِ (١)

احتفَلَ لدعوةِ دعاهَا احتفالًا شديدا ، وتعمَّل لها حتى اشْتهرَ أمرها قبلُ وُقُوعها ، فكتبَ إليه : أمَا ارتفعتَ عن تَثْبيتِ (٢) الدَّعَواتِ بَعْـــد ؟ .

* ـ ودعا محمدَ بنَ عبدِ الله بنِ طاهر (٣) رَجُلٌ من أصحابه دعوةً تقدَّم فيها ، فاحتفَلَ لها ، فلما حَضَرَ محمدٌ طَالَبَه بالطَّعام ، فمَطَله (٤) ؛ ليتكاملَ ويَتلاحقَ على ما أَحَبَّهُ من الكَثْرة [٢٤ ـ و] والحفاة حتى تصرَّمَ أكثرُ النهار ، ومسَّ مُحمدًا الجوعُ ، فتنغَّصَ عليه يومُه .

وأراد محمدٌ سفرًا (٥) فشيَّعه هذا (٦) الرجل حتى إذا دنا منه ليودعَه قال له ، أيأمُر الأميرُ بشىء ؟ قال : نعم ، تجعلُ طريقَك فى عودتِك عَلَى محمدِ بنِ الْحَارِثِ بنِ شخير (٧) فاسأله أن يعلمكَ

---

(١) البيت فى ديوانه ٤/٢٠٠ وأخبار أبى تمام ٢٦٥ .

(٢) فى م ط « تنبيت » .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى ، يكنى أبا العباس ، كان جوادا ممدحاً أديباً شاعراً مألفا لأهل الفضل والأدب ، وقد ولى إمارة بغداد فى خلافة المتوكل . ت ٢٥٣هـ تاريخ بغداد ٥/٤١٨ ومعجم الشعراء ٣٨٣ والوافى ٣/٣٠٤ وفيات الأعيان ٥/٩٢ وفوات الوفيات ٣/٤٠٣ والنجوم الزاهرة ٢/٣٤٠ وكتب التاريخ فى أحداث عامى ٢٥١ و ٢٥٢

(٤) فى ط « فماطله » .

(٥) فى ظ « سعرا »

(٦) فى ص « بهذا » واعتمدت ما فى م ط .

(٧) لم أعثر له على ترجمة .

الفُتُوَّة ، فمضى حتى دخلَ إلى محمدٍ بَغْتَةً ، فقال له : بعثنى إليك الأميرُ لتعلِّمنى الفتوة ، فضحك ، وقال : ياغلامُ ، هات [٢٤ — ظ] ما حضرَ فأُتِىَ بطبق كبير عليه ثلاثةُ أرغفةٍ من أنظف الخُبْزِ وأنقاه وسكرّجات (١) مرى وخَلّ ومِلح من أجود ما يُتَّخَذ من هذه الأصناف ، وابتدأ يأكل فجاءته (٢) فُضَيْلَةٌ باردة من مطبخه ، وتداركها الطباخ بطباهجةٍ ووافاه من منزل حرمه فُضَيْلَةٌ أُخرى ، وأهدى له بعضُ غلمانه جامَ حلواء ، فانتظم له خفيفٌ ظريف فى زمانٍ يسير ، وبغير احتشامٍ [٢٥ — و] وانتظار .

* — وسمعتُ بعضَ الأَغنياء يَعْتَذِرُ (٣) من تَرْكِ التَّحفُّل بعذرٍ ما حَسُن الاعتذار قطّ إلا من مثله ، وذاك أنه قال : ما يمنعنى من الاحتفالِ إلا الاستظهار ، فقلتُ له : وكيف ذلك ؟ قال أكرهُ أن أحْتفلَ فيتأخر عنى مَنْ أدعوه إمّا عن عمدٍ أو عائقٍ فأكون قد تكلّفتُ ما لم يُنْتفع به ، فقال فى ذلك بعض إخوانه : (٤) [المتقارب]

[٢٥—ظ]إذَا كُنْتَ لَا تَدَعُ الْإِحْتِفَا … لَ إلَّا لِأَنَّكَ تَسْتَظْهِرُ (٥)
فَلَا تَدْعُوَنْ أَحَدًا بَتَّةً … فَهَذَا هُوَ النَّظَرُ الْأَوْفَرُ
وَلَا سِيَّمَا أَنَا مِنْ بَيْنِهِمْ … فَإِنِّى — وَحَقِّكَ — لَا أَحْضُرُ

---

(١) سكرجات : مفردة سكرجة : إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأدم وهى فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها . انظر اللسان .

(٢) فى ط سقط قوله : « فجاءته » .

(٣) فى ط « يعتذرون »

(٤) لم أعرف القائل .

(٥) فى ط « لا توع » .

* — وكان آخرُ لا يَشْرعُ فى شىءٍ من آلةِ الدَّعوة حتى يحضرَ إخوانُه ، ويأمنَ تأخُّرَهم ، فحينئذ يأْمر بإصلاح ما يُحتاجُ إليه على مقدارٍ قد عَرَفَه ، فلا يلحق طعامه حتى يتصرمَ يومُهم ، وتضطرمَ نارُ [٢٦ — و] الجوع فى أحشائهم ، فقال فيه بعضُهم (١) :[البسيط]

خَافَ الضَّيَاعَ عَلَى شَىْءٍ يُعَجِّلُهُ   مِنَ الْمَطَاعِمِ إِنْ إِخْوَانُهُ ثَقُلُوا (٢)
وَلَيْسَ تَغْلُو عَلَى الْكَانُونِ بُرْمَتُهُ   حَتَّى يَرَى أَنَّهُمْ فِى الْبَيْتِ قَدْ حَصَلُوا (٣)

* — وخَبرنى بعضُ مَنْ أثق بِصِدْقِهِ(٤) عن بعضِ البخلاء أنه دعا قومًا فابتاع لهم جديًا ، وأشْفقَ من أنْ يذبحَهُ فلا يَحْضُرُوا فيخسر (٥) الجدى ، فنوَّرَهُ وعمل على أنهم إن حضروا ذبحه ، وأحضره كهيئةِ المسْمُوطِ ، وإن تأخروا [٢٦ — ظ] استحياه ولم يذبحْه .

* — وليس هؤلاء بإفراطهم فى هذا الاستظهارِ القبيح ، والنظرِ الرقيق بأذمَّ ممن (٦) يُدعى فيجيب ، ويحصل ذلك على نفسه ، ويوثق منه بالوفاء (٧) ، ثم يَتَثَاقل عن الدَّاعى الملهوفِ حتى يُجيعَه ،

---

(١) البيتان فى محاضرات الأدباء ٢ / ٦٥٩ غير منسوبين أيضاً .

(٢) فى المحاضرات « من المآكل إن أصحابه ثقلوا » ، وفى ص « ثقلو » بدون ألف ، وفى م « إذ إخوانه » .

(٣) فى المحاضرات جاء البيت هـكذا :

فما يقل على العجلان برمتـــــه   حتى يرى أنهم فى الدار قد حصلوا

وفى ص « حصلو » بدون ألف ، وفى م « فليس » .

(٤) فى ص « وخبرنى من أثق إليه » ثم كتب فوق . « أثق » كلمة « بصدقه » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٥) فى ص « فتحسن الجدى » ، واعتمدت ما فى ط .

(٦) فى ص « بأذم من يدعى » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٧) فى م ط « بالوفاء به » .

ويجيعَ إخوانَه ، ويَثْلَم عليه عُمْرد ، ويبرِّد عليه طعامه ، ويردد غلمانه ، ويطيل التشوق إليه ، فجزاء (١) هذا عندى بعد الاستظهار عليه بالحُجَّة [٢٧ – و] وإعادةِ الغلام إليه بالرسالة أن يستأْثِرَ إخوانه بالمؤاكلة دونه ، متعمدين بذلك الاستخفاف به ؛ ليؤدبوه إن كانت به مسكَةٌ ، وينبهوه إن كانت له فِطنة .

* – وقد جاء الخَبَرِ المأْثورِ فى إجابةِ الدَّعوة ، وتَرْكِ التأَخر عنها ما جَرى مَجْرَى الفَرْضِ الواجبِ ، وهو قولُ النبيِّ عليه السلام : « مَنْ دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَأْكُلْ ، وَإِنْ كَانَ [٢٧ – ظ] صَائِمًا فَلْيُصَلِّ » .

والصلاة ههنا الدعاء مثل قوله [تعالى] : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ (٢) أى لا تَدْعُ لهم ، ولا تَتَرَحَّمْ عليهم .

فإذا كان الصائم قد أُمِرَ بالحضورِ ، فكيف بالمفطر ومن قد أجاب ؟ ! .

* – وَنَالَنِي ذلك من فتًى تيَّاهٍ فكتبتُ إليه (٣) : [المتقارب]

تَأَخَّرْتَ حَتَّى كَدَدْتَ الرَّسُـولَ وَحَتَّى سَئِمْتُ مِنَ الْإِنْتِظَارِ (٤)
وَأَوْحَشْتَ إِخْوَانَكَ الْمُسْعِدِيْـنَ وَفَجَّعْتَهُمْ بِشَـبَابِ النَّهَـارِ

---

(١) فى ص « فجزاؤه هذا . . . » ، واعتمدت ما فى م ط .
(٢) الآية ٨٤ من سورة التوبة .
(٣) انظر رقم ٣٤ من قافية الراء فى ديوان كشاجم بتحقيقنا .
(٤) فى ص كتب الناسخ فوق التاء من « تأخرت » « تا » ، و لا أدرى الغرض منه .

[٢٨ ـ و] وَأَضْرَمْتَ لِلْجُوعِ أَحْشَاءَهُمْ
بِنَـارٍ تَزِيـدُ عَلَى كُلِّ نَـارِ (١)

فَإِنْ كُنْتَ تَأْمُلُ أَلَّا تُسَـبَّ
فَأَنْتَ ـ وَحَقِّكَ ـ عَيْنُ الْحِمَارِ (٢)

* ـ وكان يُقَال : ثلاثةٌ تُضْنِي : سراجٌ لا يُضيءُ ، ورسولٌ بطيءٌ ، ومائدةٌ ينتظَر بها من يجيء .

* ـ وقال آخر : المودَّةُ شجرةٌ ثمرتُها الزِّيارة .

* ـ وقال آخر : المودَّةُ روحٌ ، والزيارةُ شَخْصُها .

* ـ وكتبتُ إلى صديق لى دعوتُه فتثَاقَل عنِّى ، واعتلَّ بعارضِ عِلَّةٍ (٣) : [مجزوء الرمل]

[٢٨ ـ ظ] بِأَبِي أَنْتَ تَبَاغَضْـ ... ـتَ وَمَا كُنْتَ بَغِيْضَا
جَاءَنِي مِنْكَ جَـوَابٌ ... كَانَ لِلْعَهْدِ نَقِيْضَا
أَنْتَ لَمْ تَمْرَضْ وَلَكِنْ ... أَحْسَبُ الْوُدَّ مَرِيْضَـا
وَلَقَدْ فَاتَكَ لَهْـوٌ ... لَسْتَ مِنْهُ مُسْتَعِيْضَـا
وَمُـدَامٌ شَاكَلَتْ فِي الْـ ... ـكَأْسِ يَاقُوتًا فَضِيْضَا (٤)

---

(١) فى الديوان « وأحرقت بالجوع » ساقط من ط .
(٢) فى الديوان « تأمل ألا تذم » .
(٣) انظر رقم ٥ من قافية الضاد فى ديوان كشاجم بتحقيقنا .
(٤) فى الديوان « رضيضاً » .
وفى م ط « نضيضاً » . والفضيض : المتفرق من ماء المطر والبرد . انظر القاموس واللسان.

وَحَـدِيْثٌ وَنَشِـيدٌ شَابَ نَحْوًا وَعَرُوضَا
وَغَرِيْضٌ مِنْ غِنَاءٍ فَاقَ فى الحُسْنِ الغَرِيْضَا(١)

* — [٢٩ — و] وكتبتُ إلىٰ آخرَ (٢) : [الوافر]

كَتَبْتُ وَعِنْدَنَا رَوْحٌ وَرَاحٌ وَإِخْوَانٌ تُحِبُّهُمُ مِـلَاحُ (٣)
وَبَيْضَـاءُ السَّوَالِفِ ذَاتُ عُودٍ يُنَاغِيْهَا ثَمَانِيَـةٌ فِصَـاحُ (٤)
وَأَحْوَرُ مِنْ ظِبَاءِ الرُّومِ سَاقٍ كَغُصْنِ الْبَانِ تَثْنِيْهِ الرِّيَاحُ
بَـدِيْعُ مَلَاحَةٍ يُدْعَى نَجَاحًـا وَلَكِنْ مَا لِمَوْعِدِهِ نَجَـاحُ
لَهُ طُرَرٌ تُصَفُّ عَلَى جَـبِيْنٍ كَمِثْلِ اللَّيْلِ قَابَلَهُ الصَّبَاحُ
تَحَلَّى بِالْمَنَاطِقِ وَهْوَ مِمَّـنْ يَلِيْقُ بِهِ الْقَـلَائِدُ وَالْوِشَـاحُ
[٢٩ ـ ظ] وَسَاطِعَةُ الشُّعَاعِ رُضَابُ نَحْلٍ حَلَالُ الشُّرْبِ لَيْسَ بِهَا جُنَاحُ
وَلِلْوَسْمِيِّ بِالْقَطْرِ ابْتِـدَارٌ وَلِلشَّرْبِ ابْتِهَاجٌ وَارْتِيَاحُ
شَرَابُهُمُ سُرُورٌ وَادِّكَـارٌ وَشَدْوُهُمُ اخْتِيَارٌ وَاقْتِـرَاحُ (٥)
وَبَيْنَ الضَّرْبِ وَالأَوْتَـارِ حَرْبٌ وَبَيْنَ النَّايِ وَالرَّاحِ اصْطِلَاحُ(٦)
فَزُرْنَا غَيْرَ مُحْتَشِـمٍ تَزُرْنَـا بِزَوْرَتِكَ الْمَكَارِمُ وَالسَّمَاحُ

---

(١) جاء فى الديوان أربعة أبيات بعد هذا هي :

لو رأت عيناك من صـا حبه طرفا غضيضـا
وثنـايا واضحـات كبنـات الـدر بيضـا
كـدت من شـدة شـوق وافتتـان أن تبيضـا
ولو أن اللحـد وارا ك لأسـرعت النهـوضا

(٢) انظر رقم ١٦ من قافية الحاء فى ديوان كشاجم بتحقيقنا .

(٣) فى الديوان « وعندنا ورد » ، « وإخوان نحبهم » بالنون .

(٤) فى الديوان « تناغيها مثالثه الفصـاح » .

(٥) فى م « اختبار » بالموحدة التحتية .

(٦) فى الديوان جاء البيت هكذا :

وبين الزير والمضراب حرب وبين الماء والراح اصطلاح

* — ومرَّ بعضُ النَّبيذيِّينَ بجدْيٍ سمينٍ فقال : ليست شِعْرِى لِغِلْمَانِ مَنْ هذا؟ فسُئِل عن معنى قولِهِ ،فقال : يُؤَخِّرُ [٣٠ـ و]أصحابُنا الجدىَ فلا نصل إليه (١) وفينا فضل له ، ويفوز الغلمان به .

* — وخُبِّرْتُ أن بعضَ المتقدمين كان يَذْكر ما يصنعُ لإخوانه مِن الطعام فى رُقْعَةٍ ، ويعرض عليهم ، فمن استطاب لونًا حَبَسَ نفسه عليه .

* — وَرُوِىَ أن زِيادًا (٢) كان يقول : ما انفردتُ برغيفٍ قطّ حتى يشركنى فيه غيرى ، ولا أكلتُ طعامًا قطّ إلا بشهوة مَنْ يكون معى [٣٠ — ظ] وأنا أرى إن بغتنى الزور وفاجأنى الصديقُ أن أشافِهه بوصف شىء إن كنتُ تقدمتُ بإصلاحه وإن قلّ ، وأشهِّيه ، ولاأحتشم أن أقترحَ متعذراً أنْ أونِسه ، (٣) وأقترحُ فى منزل صديقٍ، ولا أسُومُهُ مَا أعلمُ أن حاله لايحتمله(٤) . فإن استدعيتُ من الطَّباخ شيئًا عرَّفته بالألف واللام ، ولم أجعله نكرةً كما يُحكى عن بعض المتكبرين من المموّهين .

* — [٣١ — و] ودعا قومًا فقال لغلامه فى آخر طعامه : هات

---

(١) فى ص « إليها » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٢) هو زياد بن أبى سفيان ، يكنى أبا المغيرة ، وأمه سمية ، ولد عام الفتح ، وكان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم لحق بمعاوية لما ألحقه بنسب أبيه . ت ٥٣ هـ .
المعارف ٣٤٦ وفوات الوفيات ٢/ ٣١ وانظر كتب التاريخ ، وله أقوال كثيرة فى البيان والتبيين .

(٣) فى ص « أويسه » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٤) فى ط « لا يحققه »

حلواء (١) إن كان عندك ، فقال له الغلام — وكان عليه مُدِلًّا — : ما عندى إلا الفالوذج الذى عقدتَهُ بيدك .

* — ودعا رجلٌ رجلاً فقال له : هل لك أن تَصيْرَ معى إلى المنزلِ فتأْكل خبزًا ومِلحًا ، وظنَّ (٢) الرجلُ ذلك القولَ منه على المجاز ، فمضى معه ، فلم يزده على الخبزِ والملح شيئًا ، فبيناهما يأْكلان إذْ وقف سائِلٌ بالباب فردَّه [٣١ — ظ] صاحبُ المنزل مرارًا ، فلم يبرح ، وألَحَّ ، فقال له : (إن) (٣) انصرفتَ وإلا خرجتُ إليك فهتمتُ فاك ، قال : فقال له المدعو : يا هذا انصرف : فإنك لو عرَفتَ من صِدْقِ وعيده ما قد عرفتُ من صِدْقِ وَعْدِه ما تعرَّضتَ له (٤).

* * *

(١) فى م ط . حلوا » .
(٢) فى م ط « فظن »
(٣) زيادة من م ط .
(٤) فى الهامش كتب بخط مغاير « قلت : بل كلاهما وعيد ، وفى هذا لطافة زائدة فافهمه»

باب
الشَّرب وكَثْرتهم وقِلَّتهم

* * *

* — فَأَمَّا كثرةُ عددِ الشَّرب وقِلَّتهم فهم يُسمُّون [٣٢ — و] الاثنين منشارًا ، ويَكْرَهُونهما ، وكان الثلاثةُ أتمَّ مجلساً ؛ لأَن الاثنين ينهضُ أحدُهما لبعض شأنه فَيَجِمُ الآخر ، وينفردُ ، وربّما (١) عَرَض له المُكرُ فلا يكون لحبْسِه (٢) مِنْ تخلُّفه فى مؤانسةٍ (٣) ، وليس كذلك أمر الثلاثة .

* — وعندى الأَربعةُ أحسن ؛ لأَن الثلاثةَ إذا اشْتَغَل الاثنان بالحديث لا يَعرفُ الثالثُ سببَه وابتداءَه يحتشمُ (٤) لا مَحَالة ، ونقتتُ نَفْسه ، والأَربعة (يتكافئون فهم أركان المجلس) (٥) .

* — (وفى الأَربعة) (٦) [٣٢ — ظ] يقول بعضُ الكُتَّاب (٧) :

[الرجز]

---

(١) فى م « وربما » بالمثناة التحتية ، وهو تصحيف مطبعى .

(٢) فى ط « لحسبه » .

(٣) فى ص « مؤانسه » بالهاء ، واعتمدت ما فى م ط .

(٤) فى ط « تحشم » .

(٥) ما بين القوسين زيادة منم ط يتم بها القول .

(٦) زيادة من م ط .

(٧) لم أعرف القائل » .

ثَلاثَــةٌ أَصْفَيْتُهُمْ هَــوَائِى كَأَنَّهُمْ كَوَاكِبُ الْجَوْزَاء
عُطَـارِدِيُّونَ يَرَوْنَ رَائِــى كَأَنَّمَا هَوَاؤُهُــمْ هَوَائِى (١)

وإنما ذكر (٢) ثلاثة هو رابعهم (٣) .

* — وقال آخرُ فى الثَّلاثةِ (٤) [البسيط]

ثَلَاثَةٌ جُمِعُوا لِى فِى ثَلَاثِ مِنى وَكُنْتُ رَابِعَهُمْ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ (٥)

* — وقال آخرُ فى الثَّلَاثة (٦) : [الطويل]

إِخَالُكَ تَدْعُونَا إِذَا مَا دَعَوْتَنَــا دُعَاءَ يَهُودٍ مُسْبِتِيْنَ عَلَى نَهْرِ (٧)

[٣٣ — و] فَلَا خَيْرَ فِى النَّدْمَانِ إِلَّا ثَلَاثَةً
سَوَاء كَأَمْثَالِ الْأَثَافِى مِنَ الْقِــدْرِ

* — وقال آخرُ فى وَصْفِ النَّدَامَى من وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَة : (٨) [الكامل]

إِنَّ الْمَعَاقِرَ كَأْسَهُ مُتَفَــــرِّدًا مِنْ صَحْبِهِ نَحْسٌ لَئِيمٌ أَرْجَسُ

---

(١) فى ط « ترون رائى » ، « هواهم » .
(٢) فى ص « ذكرنا » .
(٣) فى ص كتب تحت « رابعهم » كلمة « كلبهم » .
(٤) لم أعرف القائل .
(٥) فى ط « جمعوا إلى فى ثلاثة منى » (كذا) .
(٦) لم أعرف القائل .
(٧) فى ص « مسببين » بدل « مسبتين » ، واعتمدت ما فى م ط .
(٨) لم أعرف القائل .

وَاثْنَانِ يَشْتَدُ النِّدَامُ عَلَيْهِمَـا ... وَثَلاثَةٌ بِهِمْ يَطِيبُ الْمَجْلِسُ(١)
وَلَقَدْ يَلَذُّ حَدِيثُ أَرْبَعَـةٍ لَهُـمْ ... فَيَطِيبُ مُجْلِسُهُمْ مَعًا وَالأَنْفُسُ(٢)
وَالْغَـايَةُ الْقُصْوَى أَرَاهَا خَمْسَةً ... فِي دُورِهِمْ نَفَسٌ لِمَنْ يَتَنَفَّسُ
[٣٣ـ ظ]وَإِذَاهُمُ كَثُرُوا فَصَارُوا سِتَّةً ... عَطِشُوا الحَبْسِ الْكَأْسِ سَاعَةَ يُحْبَسُ
وَإِذَا تَجَمَّعَ سَبْعَةٌ فِي مَجْلِسٍ ... سَنَحَتْ لَهُمْ دُونَ السُّعُودِ الأَنْحُسُ
وَظَلَلْت فِي سُوقِ الْمِرَاءِ مُعَسْكِرًا ... وَتَرَى حُلُومَهُمُ بِجَهْلٍ تَخْلَسُ

* — ويتجوَّز المعاشرون فى الطعامِ ، ولا يتحملون كَدَرَ الشرابِ وغلَظَه ، ويسيرُ الرائق الجيد من الشراب يعفى على مُقَصِّرِ الطعام ، والكثير من غليظِ (٣) الشراب يُفْسد كل ما بُواغ (٤) فيه من شريف الطعامِ ، وزمان المشاربةِ [٣٤ — و] أطول من زمان المؤاكلة .

* — وقال الحسنُ بن هانئ فى مدح رائق الشرابِ وذمِّ غليظِهِ (٥) :

[الخفيف]

مِنْ شَرَابٍ كَأَنَّهُ نَظَـــرُ المعْـ ... ـشُوقِ فِي وَجْهِ عَاشِقٍ بِابْتِسَامِ (٦)
لَا غَلِيْظٌ تَنْبُو الطَّبِيْعَةُ عَنْـهُ ... نَبْوَةَ السَّمْعِ عَنْ شَنِيْعِ الْكَلَامِ

---

(١) فى م « يشتد » بنقطتين فوق وتحت الحرف الأول .
(٢) فى ص « ولقد تلذ » ، واعتمدت ما فى م ط .
(٣) فى ط « ومكثير من غلظ » ولا معنى له .
(٤) فى ط « كل ما يولع » ، وفى م « يولغ » وهو تصحيف فى الحالتين .
(٥) انظر ديوانه ٦٩ .
(٦) فى الديوان « من شراب ألذ من نظر .... » ، وفى ط « كأنه نظراً » (كذا) .

* – وقال الوليد بن عبيد البحترى (١) : [المتقارب]

تَرَكْتَ مُشَمَّسَ قُطْرُبُّلٍ وَجَرَّعْتَنَا دَقَلَ الدَّسْكَرَهْ (٢)
[٣٤ـظ] إِذَا صُبَّ مُسْوَدُّه فِي الإِنَاءِ فَكَأْسُ النَّدِيمِ بِهِ مِحْبَرَهْ (٣)

* – وقال على بن العباس الرومى (٤) : [الخفيف]

عَلَّنِي أَحْمَدٌ مِنَ الدُّوشَابِ شَرْبَةً نَغَّصَتْ سَوَادَ الشَّبَابِ (٥)

---

(١) هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد البحترى الطائى ، يكنى أبا عبادة ، واسمه فى الأغانى ومعجم الأدباء : الوليد بن عبيد الله ، تتلمذ على أبي تمام ، وكان يعترف بفضل أستاذه عليه ، إلاأن طريقته تخالف عن طريقة أستاذه ،فهو يلتزم عمود الشعر كما يقول النقاد ، بينما يخرج عليه أستاذه ،وقد اختلف الناس – وما يزالون – فى شاعرية كل منهمات ٢٨٤ هـ .

الأغانى ٢١/٣٧ وطبقات ابن المعتز ٣٩٣ ومعجم الأدباء ١٩/٤٨ وتاريخ بغداد ١٢/٤٤٦ والفهرست ١٩٠ والموشح ٥٠٥ ومعاهد التنصيص ١/٢٣٤ ووفيات الأعيان ٦/٢١ وسمط اللآلى ١/٢٧٩ ، ٤٢٧ ومسائل الانتقاد ١٤٢ والشذرات ٢/١٨٦ وأخبار أبي تمام والموازنة وديوانه والأعلام ٨/١٢١ .

(٢) البيتان فى ديوانه ٢/٨٩٩ ضمن قصيدة يهجو فيها ابن رياح احمد بن ابراهيم ، وفى الديوان جاء البيت الثانى قبل الأول .

قطربل : قرية اشتهرت بكثرة حانات الخمر . انظرها فى معجم البلدان .

والدقل : ردىء التمر . والد سكرة : بناء يشبه القصر تكون حوله بيوت ، ويكون هذا الملوك .

(٣) فى الديوان : « فى الزجاج » بدل « فى الإناء » ، وفى ط « مسودة » بالتاء وهو تصحيف .

(٤) هو على بن العباس بن جريج ، يكنى أبا الحسن ، وهو أشعر أهل زمانه بعد البحترى ، وهو فى الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره ، غزارة قول ، وخبث منطق ، وكان كثير الطيرة ، ومات مسموما عن طريق وزير المعتضد . ت ٢٨٣ هـ .

الفهرست ١٩٠ وتاريخ بغداد١٢/٢٢ ومعجم الشعراء ١٤٥ وفيات الأعيان٣/٣٥٨ ومروج الذهب ٤/٢٨٣ والموشح ٥٤٥ ورسالة الغفران ٤٧٦ وسمط اللآلى ١/١٦٠ ومعاهد التنصيص١/١٠٨ ومسائل الانتقاد ١٤٥ والعمدة وزهر الآداب وديوان المعانى فى صفحات كثيرة وديوانه .

(٥) ديوانه ١/٣٤٠ وفيه « شربة بغضت قناع .... » . وفى ط « نغست » بالسين المهملة (كذا) والد وشاب : نبيذ التمر . معرب .

لَوْ تَرَانِى وَفِى يَدِى قَدَحُ الدُّو شَابِ أَبْصَرْتَ بَازِيَارَ غُرَابِ (١)

* ـ وَلِى فى هذا المعنى : (٢) [مجزوء الرمل]

لِأَبِى الْفَضْلِ شَـــرَابُ جَيِّدٌ لَيْسَ يُعَابُ (٣)
هُوَ فِى حَالِ طَعَـــامٌ وَهْوَ فِى أُخْرَى شَرَابُ (٤)

* * *

(١) فى ط « قدح الدورشاب » و « بازيا وغراب » (كذا) .
(٢) البيتان فى المختار من قطب السرور ٦٤ ، وهما فى ملحق ديوان كشاجم فى قافية الباء بتحقيقنا .
(٣) فى المختار « نبيذ حسن » بدل « شراب جيد » ، وفى م « يعاب » بنقطتين فوق وتحت الحرف الأول .
(٤) فى المختار « وهو فى حال شراب » .

باب

السمــــاع

* * *

* - فأمَّا السَّمَاعُ الطيِّبُ فلواقْتَصَربه عليك داعيك مِنْ دونِ كُلِّ مأْكولٍ ومشروبٍ لقَضَى حقَّكَ ، وأحسنَ تعويضك (١) ، ويشهدُ بتحقيق ذلك خَبرُ الرَّاعِى (٢) فى البيتين اللَّذين سمعَه سامعٌ يتغنى بهما وهما (٣) : [الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى بِأَرْضِهَا
آرَى الْأَرْضَ تُطْوَى لِى وَيَدْنُو بَعِيدُهَا

[٣٥ - ظ] مِنْ الْخَفِرَاتِ الْبِيْضِ وَدَّ جَلِيْسُهَا
إِذَا مَا قَضَتْ أُحْدُوثَةً لَوْ تُعِيدُهَا (٤)

فأَطربَهُ وَأَعْجبَهُ ، حتى مَالَ إليه ، فاستعاده (٥) فأعادهما ، وقال : والله لو كان عندى قِرًى ما أعدتهما .

---

(١) فى م ط « وأحسن معونتك وتعويضك » .
(٢) فى م « الداعى » ، وهو خطأ كما يتضح من السياق ، وليس المقصود بالراعى الشاعر المعروف ، وإنما المقصود به أى راع .
(٣) البيت الثانى فقط فى ديوان مجنون ليلى ١٠٨ .
(٤) فى ديوان مجنون ليلى « إذا ما انقضت ... » ، وفى ص « لو يعيدها » ، واعتمدت ما فى الديوان و م ط .
(٥) فى ط « فاستدعاه » .

* — وقال آخر (١) : [الخفيف]

لِأَبِى جَعْفَر سَمَاعٌ عَجِيْبُ جَمَّعَ اللَّهْوَ فِيْهِ وَالْإِطْرَابَا
فَالنَّدَامَى بِهِ غَنِيُّونَ عَنْ أَنْ يَبْتَغِى مَطْعَمًا لَهُمْ وَشَرَابًا

* — وذلك أنَّ الغناءَ شىءٌ يخصُّ النفسَ دون الجسم (فيشغلها عن مصَالِحِ الجسم) (٢) ، كما [٣٦ — و] أنَّ لذةَ المأْكولِ والمشروبِ تخص (٣) الجسمَ دون النفس .

* — وقالت (٤) الحكماءُ : الغناءُ فضلة فى المنطق أشْكلَتْ على النفس فاخرجَتْهَا ألحانًا . فأقول : إنها إلى الألحانِ أمْيلُ ، إذ كانت هذه سبيلها أشدّ إصغاء منها إلى (أن)(٥) قد تميز لها ، وصحّ (٦) معناه عندها مِنْ سائِرِ منطقها ؛ حرصًا على معرفة غامضها ، وشوقًا إلى استفتاح منغلقها ، وهى إلى تَعَرُّف ما لم تَعْرف [٣٦ — ظ] أتْوَقُ منها إلى ما قد عَرَفَتْ .

* — وكذلك المثلُ العجيبُ (٧) والبيتُ النادرُ كلَّما دَقَّ معناه ، ولَطُفَ حتى يُحْتَاجَ إلى إخراجه بِغَوصِ الفكر عليه ، وإجالةِ الذهنِ

---

(١) لم أعرف القائل .
(٢) ما بين القوسين زيادة من م ط يتم بها المعنى .
(٣) فى ص « يخص » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م ط .
(٤) فى ط « قالت » بحذف الواو .
(٥) زيادة من م ط .
(٦) فى ط « وصح » .
(٧) فى ص « العجب » ، واعتمدت ما فى م ط .

فيه كانت النفسُ بما يَظْهر لها منه أكثرَ التذاذًا ، وأشدَّ استماعًا (١) مما تَفْهمه (٢) فى أولِ وَهْلة ، ولا يُحتاجُ فيه إلى نظرٍ وفطنةٍ ، (و) (٣) ليس إلا لشرفها ، وبُعْدِ غايتها .

* — وأقول (٤) أيضاً : كما أنَّ الألحانَ أشرفُ المنظومِ فكذلك (٥) [٣٧ — و] النفسُ الطروب إليها المستخفّ ذا أشرفُ الأنْفس ، وكلُّ ذى ذهنٍ لطيف ، ونَفْسٍ فاضلةٍ أحرصُ (٦) على السماعِ ، وأحَنُّ إليه (٧) بالمشاكلة .

* — وكتبتُ إلى بعضِ مَنْ كان يَزْهدُ فى السماعِ : (٨)

[مجزوء الكامل]

إنْ كُنْتَ تُنْكِـرُ أنَّ فِي الْـ ـأَلْحَانِ فَائِدَةً وَنَفْعًا (٩)
فَانْظُـرْ إلَى الْإبِـلِ الَّتِي هِيَ - وَيْلَكَ - أغْلَظُ مِنْكَ طَبْعَا
[٣٧ - ظ] تُصْغِى لِأصْوَاتِ الْحُدَا ةِ فَتَقْطَـعُ الْفَلَوَاتِ قَطْعَا
وَمِـنَ الْعَجَائِبِ أنَّهُـمْ يُظْمِـئُونَهَا خَمْسًـا وَرِبْعَا
فَإِذَا تَـوَرَّدَتِ الْحِيَـاضَ وَشَارَفَتْ فِي الْمَاءِ كَرْعَا

(١) كذا فى ص م ط ، ويبدو أن الأوفق « استمتاعا » .
(٢) فى ص « يفهمه » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م ط .
(٣) زيادة من م ط .
(٤) فى ط « فأقول » .
(٥) فى ص « وكذلك » ، واعتمدت ما فى م ط .
(٦) فى ط « أحرس » .
(٧) فى ص « إليها » واعتمدت ما فى م ط .
(٨) انظر الأبيات فى ملحق ديوان كشاجم بتحقيقنا .
(٩) فى ط « فائدة وقفعا » .

وَتَشَوَّفَتْ لِلصَّوْتِ مِنْ حَادٍ تُصِيخُ إِلَيْهِ سَمْعَا
ذَهِلَتْ عَنِ الْمَاءِ الَّذِي تَلْتَذُّهُ بَرْدًا وَنَفْعَا (١)
شَوْقًا إِلَى النَّغَمِ الَّتِي أَطْرَبْنَهَا لَحْنًا وَسَمْعَا (٢)

* — وَحَقٌّ مَنْ أمتعكَ (٣) بسماعِهِ ، وأشرَكَكَ فى أخصِّ لَذَّاتِهِ [٣٨ — و] وَسَوَّى بينك وبينه فى استماعِ نَغَمِهِ مَنْ لعله يُغَارُ عليه من ظلِّه ، أنْ تجعلَ ثوابَهُ (٤) على هذه التكرمَةِ غَضَّ طرْفِك عن الجهةِ التى تلى الستارة ، والناحيةِ (التى) (٥) تأتى منها النغمةُ ؛ حتى لا يكون باطنُ الستارة بأخفى عنك من ظاهرها ، ولا تحتاج أن يخرجَ بك الطربُ عن حدِّ الحريةِ والأدبِ فتلج بالاقتراح ، وتتحقق بالعلم بالغناء ، والحذق بالإعراب فتتبع العثْرة ، وتترصَّد [٣٨ — ظ] الهفوة ، فإن سمعت مَجَازًا لحَّنته ، وإن مرَّ بك زحافٌ عيَّرته ووزنْتَه ، وقد قيل : النصحُ بين الملأ تقريعٌ ، ومن قلَّ علمُه كثُر رَدُّه (٦) .

* — والعربيةُ أكثرُ من أن يخطِّئ فيها متكلم ، وأنفُسُ القيانِ (٧) أبيَّة ، ومعهنَّ أنفة وحميَّة ، فمَن استعملَ معهنَّ هذا فهو أبدًا عليهن ثقيل ، وعندهنَّ مقيت ، لا يعدم أن تُراقبه الواحدةُ

(١) فى ط « نلتذه » .
(٢) فى ط « النغم الذى .... » .
(٣) فى ط « وحتى إذا أمتعك ... » .
(٤) فى ط « ثوبه » .
(٥) زيادة من م ط .
(٦) فى ط « كثر وده » .
(٧) فى م ط « القينات » .

وتكايده ، فتعَالل إنْ حضر ، وتعدل عما استحسن (١) ، فتقطع الصوت [٣٩ ـ و] عند انتحائه ، وتتربص بجيد الغناء لانصرافه .

* — ولبعض أصحابنا فى غض الطرف عن الستارة : (٢)

[مجزوء الكامل]

إنِّى عَلَى مَا فِىَّ مِـنْ عَهْدِ الشَّبِيْبَةِ وَالنَّضَارَهْ
لَأَغُضُّ مِنْ طَرْفِى وَيَـأْ مَنُنِى النَّدِيْمُ عَلَى السِّتَارَهْ
وَأَعَفُّ خَلْقِ اللهِ عَـنْ جَارِ أُصَافِيْهِ وَجَـارَهْ

* — وكتبتُ إلى بعضِ أصدقائِنَا ، [٣٩ ـ ظ] وكانَ له سماعٌ مطربٌ وغيرةٌ مفرطةٌ ، : (٣) [المنسرح]

إنْ شِئْتَ فَاسْتُرْ عَلَى سَمَاعِكَ أوْ إنْ شِئْتَ يَوْمًا فَعَطِّلِ السِّتْرَا (٤)
فَإنَّ عِنْدِى مِنَ الْعَفَافَـةِ مَـا تَحْمَدُهُ مَنْظَـرًا وَمُخْتَبَـرًا
أُمْكِنُ أُذْنِى مِنَ السَّمَاعِ وَلَا أُمْكِنُ أَلْحَاظَ عَيْنِىَ النَّظَـرَا (٥)

* * *

---

(١) فى ص « وتعدل عنه بما استحسن » واعتمدت ما فى م ط .
(٢) لم أعرف القائل .
(٣) الأبيات فى ملحق ديوان كشاجم بتحقيقنا .
(٤) فى ص « على سماعك وإن ... » واعتمدت ما فى م ط ليصح الوزن .
(٥) فى ط « ألحاظ عينى » وهو تصحيف .

باب

المحـــادثة

* * *

* — فأمّا سببُ النديم الذى هو رأسُ ماله ، وأنفَسُ أعلاقِهِ [٤٠ — و] فهو المحادثةُ ، وهى أخفُّ اللَّذاتِ مؤونة ، (١) وأقلُّها إتعابًا للحاسَّةِ .

* — وقد قيل لشيخٍ فانٍ : ما بقِىَ من لذّاتِك ؟ قال : استماعُ المُلَح .

* — وقال المهلَّبُ (٢) : العيشُ كله فى الجليسِ الممتعِ .

* — وجوّدَ علىُّ بن العباس الرُّومى (٣) : [مجزوء الكامل]

وَسَئِمْتُ كُلَّ مَآرِبِـــى فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيْثْ (٤)
إِلَّا الْحَدِيْثَ فَإِنَّـــهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيْثْ

---

(١) فى م ط « مؤنة » .

(٢) هو ظالم بن سراق بن صبح الأزدى العتكى البصرى ، يكنى أبا سعيد ، تولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وقاتل الأزارقة ، ثم تولى إمرة خراسان لعبد الملك بن مروان ، وفيها مات سنة ٨٣ هـ.

المعارف ٣٩٩ وشذرات الذهب ١/ ٩٠ وفيات الأعيان ٥/ ٣٥٠ وعبر الذهبى ١/ ٩٥ . وتوجد أخباره فى كل كتب التاريخ فى أثناء أخبار عصر بنى أمية والأعلام ٧/ ٣١٥ .

(٣) سبقت ترجمته ، والبيتان فى ديوانه ١/ ٣٩٧ .

(٤) فى الديوان « ولقد سئمت مآربى » ، وفى ص « ما أربى » .

* — وسَأَلَتْ فَنَنٌ (١) — وهى جاريةٌ أريبه كانت من آدَبِ (٢) الجوارى [٤١ — ظ] فى زمانها — مُسْلِمًا ، المعروف بالمتيَّم (٣) ، فى مُذَاكرةٍ جَرتْ بينهما طويلة ، فقالت : أىُّ الأُمورِ عندك ألذُّ وأشهى ، محادثةُ الرجالِ ، أم استماعُ الغناءِ ، أم الخلوةُ بالنساءِ ؟ فقال (٤) : سألتِ عن أمور (لا تحسن محادثةُ الرجالِ إلا بِحُسْنِ التَّفهُّمِ ، و) (٥) لا يصلحُ الغناءُ (٦) إلا بشُرْبِ النبيذ ، ولا الخلوةُ مع النساءِ إلا بالموافقةِ ، وسعةِ القدرة ، قالت فأَىٌّ (٧) الثلاثةِ تختار ؟ قال : محادثةُ الرجال .

* — ومثلُ قوله : [٤١ — و] لا تَحْسُنُ (٨) محادثةُ الرجالِ إلا بِحُسْنِ التَّفهُّمِ ، قولُ الآخرِ : تعلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ كما تتعلَّم حسنَ الكلامِ .

* — وحُسنُ الاستماعِ إمهالُ المحدِّثِ حتى ينقضىَ حديثُه ، وقلَّةُ التقلُّبِ إلى الجوابِ ، والإقبالُ عليه بالوجه ، والنظرُ والوعىُ لما يقول ، وأن تُصغىَ إلى حديثه (٩) ، ولا تشغل طرفَكَ عنه بنظر ،

---

(١) لم أعثر لها على ترجمة .
(٢) فى ط « وهى جارية أديبة كانت من آلادب » .
(٣) لم أعثر على من لقبه « المتيم » إلا إذا كان يقصد « صريع الغوانى » ، وإن كنت لم أجد من ألقابه « المتيم » .
(٤) فى ص « فقالت » ، واعتمدت ما فى م ط .
(٥) ما بين القوسين زيادة من م ط يتم بها السياق ، وانظر الفقرة الآتية .
(٦) فى ط « والغناء » بإسقاط « لا يصلح » ، وفى م « ولا الغناء » .
(٧) فى ط « أى » .
(٨) فى ص « لا يحسن » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م ط .
(٩) فى ط « إلى حديثى » .

ولا أطرافَكَ بعمل ، ولا قلبَك بفكر ، ولا تسابقه [٤١ — ظ] إلى حديث يبدأُ به لمعرفتك بذلك الحديث ، بل تُرِيْه من الارتياحَ له ، والتعجُّبِ منه ما تُوهِمُهُ أنه لم يخطر ببالك ، ولا وَقَرَ فى سمْعِك .

* — وأمتعُ الناسِ حديثًا أحسنُهم إفهاما ، ومن أدبِ الحديثِ ألا يُقْتضبَ اقتضابا ، ولا يهجم عليه ، وأن يُتَوصَّلَ إلى اجتراره بما يشاكله ، ويسبب له ما يحسنُ أن يجرىَ معه فى غرضه ؛ حتى يكون بعضُ المفاوضة متعلقًا [٤٢ — و] ببعض على حسب قولهم فى المثل : « الحديثُ ذو شُجون (١) » ، يعنى بذلك تشعُّبه وتفرُّعه عن أصلٍ واحد إلى معانٍ كثيرة ، وألا تبتدئ حديثاً ثم تقطعه ، وتعد بإتمامه ، كأنك روَّأْتَ (٢) فيه بعدَ ابتدائه ، ولتكن التَّروئةُ له قبل التفوُّهِ به ، فإن احتجارَ الحديث بعد ابتدائه سخف .

* — ولا يتَّسعُ للنديم (٣) من العذرِ فى إكثارِ الصمتِ ما يتسعُ للكاتب ؛ لأن ذلك ينزل من الكاتب [٤٢ — ظ] على الفكر فى تدبير الأَعمالِ ، ونظمِ الأُمور ، والانتظار لأَن يُسأَلَ فيجيب ، أو يُستشارَ فيصيب ، وهو من النديم عىٌّ وانقطاع ، وقلَّةُ إمتاع ، كما قال بعض أصحابنا (٤) : [السريع]

---

(١) انظره فى كتاب الأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام ٦١ وما فيه من مراجع والفاخر للمفضل ٥٩ ومجمع الأمثال للميدانى ١ / ٣٥١ .

(٢) روأ فى الأمر : نظر فيه وتعقبه ، ولم يعجل بجواب . انظر اللسان والقاموس .

(٣) فى ط « للندم » .

(٤) لم أعرف القائل .

وَصَاحِبٍ أَصْبَحَ مِنْ بَرْدِهِ ... كَالْمَاءِ فِي كَانُونَ أَوْ فِي شُبَاطْ

نَدْمَانُهُ مِنْ ضِيقِ أَخْلَاقِـهِ ... كَأَنَّهُ فِي مِثْلِ سَمِّ الْخِيَاطْ

نَادَمْتُهُ يَوْمًا فَأَلْفَيْتُـهُ ... مُتَّصِلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ النَّشَاطْ

حَتَّى لَقَـدْ أَوْهَمَنِي أَنَّـهُ ... بَعْضُ التَّمَاثِيلِ الَّتِي فِي الْبِسَاط

* — [٤٣ — و] وقال بعضُ العلماء : إذا لم تكن المحدِّثَ أو المُحَدِّث فقُم .

* — ومع ماقلنا من إكثارِ النديمِ الحديث فأَخلى لحديثه وأحسنُ لموقعه أن يتنكَّبَ منه الطِّوال ذوات المعانى القلقه ، والأَلفاظِ الوحشيةِ التى يَمْنَى باقتصاصها زمانُ المجلس ، وتتعلق (١) بها النفوسُ ، وتحبِسُ على أواخرها الكؤوس (٢) ، فإن ذلك بمجالسِ القصّاصِ أشبهُ منه بمجالسِ [٤٣ — ظ] الخواص .

* — ولم يَزَالوا يمدحون الأَحاديثَ بالقِصَرِ كقولِ امرئ القيس :(٣)

[المديد]

وَحَدِيثُ الرَّكْبِ يَوْمَ هُنَا ... وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصَرِهْ (٤)

---

(١) فى ص « ويتعلق » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م ط .
(٢) فى م ط « الكئوس » .
(٣) سبقت ترجمته .
(٤) البيت فى الديوان ١٢٧ وجاء آخر قصيدة أولها « رب رام من بنى ثعل » ، وانظر شرح البيت فى الديوان .

وقال آخـر : (١) [الطويل]

إذا هُنَّ حَدَّثْنَ الْحَدِيْثَ قَضَيْنَـهُ ... وَمَنَّيْنَنَا أنَّ الْحَدِيْثَ يُعَـادُ

وقال عبد الله بن المعتز (٢) : [الخفيف]

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيْثٌ قَصِـيْرٌ ... هُوَ سِحْرٌ وَمَا سِوَاهُ كَلَامُ (٣)

[٤٤ ـ و] وقال آخـر (٤) : [البسيط]

كَمْ مِنْ حَدِيْثٍ قَصِيْرٍ لِي أَصِيْدُ بِهِ ... قَلْبَ الْفَتَاةِ وَأَشْعَارٍ أُسَدِّيْهَا (٥)

* ـ وقال آخر : لا تجعلُوا مجلسَكم حديثًا كلَّه ، ولا إنْشادًا (٦) كله ، ولكن اَمْزُجُوه ، واجعلوا له من كلِّ شيءٍ نصيباً .

* ـ ومن أدب الحديث ألا يكثِرَ المحدِّث التَّبسمَ والقهقهة .

* ـ وقال نجاحُ بنُ سَلَمة (٧) للمتوكل لما دعاه إلى منادمته :

---

(١) لم أعرف القائل .

(٢) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، يكنى أبا العباس ، كان أديبا بليغا ، وشاعرا مطبوعا ، مقتدرا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، حسن الإبداع للمعانى ، وكان مخالطا للعلماء والأدباء ، معدودا من جملتهم . ت ٢٩٦ هـ.
الأغانى ١٠/٣٧٣٨ ط الشعب وتاريخ بغداد ١٠/٩٥ وفيات الأعيان ٣/٧٦ ونزهة الألباء ١٧٦ ومعاهد التنصيص ٢/٣٨ والشذرات ٢/٢٢١ وعبر الذهبى ٢/١٠٤ ومسائل الانتقاد ١٤٤ وكتب التاريخ فى أحداث عام ٢٩٦ هـ وديوانه .

(٣) البيت فى ديوانه ٢/٣٠٨ ضمن قصيدة .

(٤) القائل هو كشاجم مؤلف الكتاب .

(٥) انظر البيت فى ديوانه بتحقيقنا فى قافية الهاء رقم ٦ .

(٦) فى ط « ولا إنشاد » (كذا) .

(٧) كان نجاح بن سلمة على ديوان التوقيع ،وتتبع العمال ، وكان على الضياع فكان=

فِىَّ خِصالٌ لا تصلحُ معها منادمةُ الخلفاء [٤٤ – ظ] قال : وما هى ؟ قال : سَلَسُ البَوْلِ ، وأبتسمُ (١) إذا حدَّثتُ ، ولا أقدر من الشُّربِ على أكثرَ من رطلين . فقال له : من حقِّ صدقِك عنها أن نُسامحك بها فتحملها (٢) .

* – وقد اختلفَ رأيُهم فى موقعِ (٣) الحديث على الطعامِ ، فاستحسنهُ قومٌ ، وكرِهَهُ آخرون ، وهو من صاحبِ المنزلِ والمائدةِ أحسَنُ منه من الأكيلِ والزَّائرِ ، كما قال بعضهم : (٤) [الرجز]

[٤٥ – و] صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى
إنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقِـرَى (٥)

* – ويُسْتَجَادُ قولُ بعضِ المحدَثين : (٦) [البسيط]

كَيْفَ احْتِيَالِى لِبَسْطِ الضَّيْفِ مِنْ خَجَلٍ
عِنْدَ الطَّعَـامِ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ حِيَلِى

=جميع العمال يتوقونه ، ويقضون حوائجه،وقد قتله موسى بن عبد الله الأصفهانى وصادر أمواله سنة ٢٤٥ هـ .

تاريخ الطبرى ٩ / ٢١٤ والكامل فى التاريخ ٧ / ٨٨ وفيات الأعيان ١ / ٣٥٤ و ٤ / ٣٤٦ و ٥ / ٣٣٧ .

(١) فى م ط « وأتبسم » .
(٢) فى ط « فتحملها » بالمثناة الفوقية .
(٣) فى ط « فى موضع » .
(٤) لم أعرف القائل ، والبيت فى محاضرات الأدباء ٢ / ٩٥٣ غير منسوب .
(٥) فى المحاضرات « صادف أنسا » .
(٦) لم أعرف القائل .

أَخَافُ تَرْدَادَ قَوْلٍ لِي فَأَحْشِمهُ
وَالصَّمْتُ يُنْزِلُهُ مِنِّي عَلَى الْبخلِ

* — وأكل عندى بعضُ المُجّانِ من النبيذيين (١) ، فسمعَنى وأنا أحمدُ الله عزَّ وجلَّ فى وَسَطِ الطَّعامِ لشىءٍ خطَرَ ببالى من نِعَمِهِ التى لا تُحصَى ، فنهض ، وقال : أُعْطى اللهَ [٤٥ — ظ] عهدًا إنْ عاودتُ ، وما معنى التحميد فى هذا الموضعِ ! كأنك أردت أنْ تعلمنا أنَّا قد شبعنا ، ثم مال إلى الدَّواةِ والقرطاسِ ، وكتبَ ارتجالًا : [الوافر]

وَحَمْدُ اللهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلٰكِنْ لَيْسَ فِي أُولَى الطَّعَامِ
لِأَنَّكَ تُحْشِمُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ
وَتُؤْذِنُهُمْ وَمَا شَبِعُوا بِشِبْعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

* — ولستُ أرَى بالحديثِ من الزائرِ والمزُور بأسًا إلا أنَّ [٤٦ — و] أحسَنَ حديثِ النديمِ على الطعامِ ، وأليقَه (٢) بالحال التى هو فيها أن يكون فى معنى الطِّبِّ ، وذكر الأغذيةِ ومحمودِها ومكروهِها .

* — فإنْ أحَسَّ من صاحبه بُخْلًا صلحَ أيضاً أن يذكرَ له طَرفًا مما جاءَ فى تخفيفِ الطعامِ ، وتَرْكِ (٣) التَّملُّؤ منه ، والأَخذِ بمقدارِ الحاجة إليه ، وما يقيمُ الجسمَ دون ما يتعرضُ به للتُّخمةِ ، وذلك مثل قوله

---

(١) جاءت هذه الرواية فى زهر الآداب ١/٤٥٣ .
(٢) فى ط « وألقبه » .
(٣) فى م ط سقط قوله « وترك » .

صلى الله عليه وآله (١) وسلم : « اجْعَلُوا الْبَطْنَ أَثْلَاثًا [٤٦ — ظ] ثُلُثًا طَعَامًا ، وَثُلُثًا شَرَابًا ، وثُلُثًا نَفَسًا » . ثم مثل قول متمم بن نُوَيْرَة (٢) : [الطويل]

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتًى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا(٣)

يريد أنه كان يُؤْثِر الأَضيافَ بالزادِ على نفسه ، وهو لا يستوفى منه شِبَعه ، وقال المبرِّدُ : (٤) لأَنه كان يُؤَخِّرُ العشاء (٥) إلى الليل ؛

(١) فى م سقط « وآله » .

(٢) هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن ثعلبة .... ابن تميم ، يكنى أبا نهشل أو غير ذلك ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ومراثيه فى أخيه مالك مشهورة ، وقد استفرغت شعره . ت ٣٠ هـ .

طبقات ابن سلام ١/٢٠٣ والأغانى ١٥/٢٩٨ ومعجم الشعراء ٤٣٢ والمؤتلف والمختلف ٢٩٧ والشعر والشعراء ١/٣٣٧ والمفضليات ٢٦٣ وغيرها وخزانة الأدب ٢/٢٤ والاستيعاب ٤/١٤٥٥ وجمهرة أشعار العرب ٢/٧٤٧ والكامل للمبرد ٤/٧٢ والفاضل ٦٣ وسمط اللآلى ١/٨٧ والأعلام ٥/٢٧٤ .

(٣) البيت فى المفضليات والأغانى والجمهرة وغيرها من المصادر السابقة . والمنهال : هو ابن عصمة الرياحى ، كفن مالكا فى ثوبيه . وفى ص كتب فى الهامش أمام البيت « المنهال رجل ألقى ثوبه على مالك أخى متمم ، وكذلك كانوا يفعلون ، يمر الرجل بالقتيل فيلقى عليه ثوبه يستره . والأروع : الذى إذا رأيته راعك بحسنه وجماله » ، وفى ص أيضا « العشى » ثم كتب تحتها « العشيات » وكتب الناسخ علامة التصحيح « صح » .

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى ، يكنى أبا العباس ، ويعرف بالمبرد ، كان شيخ علماء النحو بعد أبى عمرو الجرمى وأبى عثمان المازنى ، كان حسن المحاضرة ، مليح الأخبار ، كثير النوادر . ت ٢٨٥ أو ٢٨٦ هـ .

معجم الشعراء ٤٠٥ وإنباه الرواة ٣/٢٤١ ونزهة الألباء ١٦٤ وبغية الوعاة ١/٢٦٩ وتاريخ بغداد ٣/٣٨٠ وسمط اللآلى ١/٣٤٠ . ومعجم الأدباء ١٩/١١١ والنجوم الزاهرة ٣/١١٧ والفهرست ٦٤ والشذرات ٢/١١٠ وطبقات النحويين ١٠١ وفيات الأعيان ، والكامل فى اللغة والأدب والفاضل والتعازى والمراثى للمبرد والأعلام ٧/١٤٤ .

(٥) الذى جاء فى الكامل للمبرد ٣/١٥٣ هو « فإنما كان أنه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف » . وفى ص « يوخر العشا » بحذف الهمزة .

انتظارًا للطَّارقِ . وقول حاتمُ (١) : [الطويل]

[٤٧ ـ و] وَإِنِّى لَأَسْتَحْيِى رَفِيْقِىَ أَنْ يَرَى

مَكَانَ يَدِى مِنْ مَوْضِعِ الزَّادِ أَقْرَعَا (٢)

وَكُنْتَ إِذَا أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُـؤْلَهُ

وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَـا (٣)

وقول الآخر : البطنة تُذهب الفِطْنة .

وقول الآخر : عاهةُ (٤) الشِّبع أشدُّ من عاهةِ (٤) الجوع .

وقول بُقْرَاط : الإقلالُ من الضارِّ خيرٌ من الإكثارِ (٥) من النافعِ .

ثم إن استشاره فى نقلٍ أو عَشاءٍ لم يُشِرْ عليه إلا بما لَطُفَ من النقل ، وحَادَ به (٦) عن الطعامِ ، [٤٧ ـ ظ] وخوَّفه عاقِبَتَهُ .

---

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، أحد بنى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ، يكنى أبا سفانة وأبا عدى ، ويعرف بحاتم الطائى ، فارس شاعر جاهلى ، أشهر الأجواد الذين يضرب بهم المثل فى الجود .

الأغانى ١٧/٣٦٤ والشعر والشعراء ١/٢٤١ وسمط اللآلى ١/٦٠٦ وخزانة الأدب ٣/١٢٧ ومجمع الأمثال ١/٣٢٦ والبيان والتبيين ٣/٣٠٧ و٣٠٨ والأعلام ٢/١٥١ .

(٢) البيت بنصه فى عيون الأخبار ٣/٣٤٣ والأمالى ٢/٣١٨ والحماسة ٢/٣٤٣ وفى البيان والتبيين « فإنى لأستحيى أكيلى » ، « من جانب الزاد » ، وفى م ط « بلقعا » بدل أقرعـا » .

(٣) فى الأمالى « وإنك إن أعطيت ... » ، وفى البيان والتبيين والحماسة « وإنك مهما تعط .... » .

(٤) فى ص « عادة » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٥) فى ص « من الكثير » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٦) فى ص « وجاده » ، واعتمدت ما فى م ط .

* وإن كان سَخِيًّا أكولا ذاكَرَهُ بما يُعْجبه ، ويُشاكلُ مذهبَهُ فى إخْمَادِ قوةِ الشَّهوةِ للأَكل ، والإكثارِ منه ، وما فيه من اللَّذةِ ، كقولهم : الأَطْيبانِ الأَكلُ والنكاحُ .

وكقول الآخر (١) : [الخفيف]

حُسْنُ أكْلِ الْفَتَى يَدُلُّ عَلَى إيْـ ـنَاسِهِ ضَيْفَهُ وَبَسْطِ أكِيْلِهْ
وَتَرَاهُ يُقِلُّ مِنْهُ فَيَدْعُـو ذَاكَ أَضْيَافَهُ إِلَى تَبْخِيْلِهْ (٢)

* — وحُكى أن الحجَّاجَ أصْبحَ جائِعًا فقال لجلسائه: ما [٤٨ — و] خيرُ الغذاءِ (٣) ؟ فقال ابنُ الْقِرِّيَّةِ (٤) : بَوَاكِرُهُ أيها الأَمير ، قال : ولِمَ ذاك ؟ وهل هو كذلك فى كلِّ أوانٍ ؟ قال : نعم ، إن كان الزَّمَانُ شتاءً فلِطُولِ الليلِ ، وهَضْمِ المعدة الطعامِ وإن كان قيظًا فلبردِ الماءِ ، وقلَّةِ الذباب .

* * *

(١) لم أعرف القائل ، والبيتان فى محاضرات الأدباء ٢/٦٥٢ غير منسوبين .
(٢) فى المحاضرات « وتراه يقل منه ويدعو » .
(٣) فى م « الغداء » بالدال المهملة .
(٤) هو أيوب بن زيد بن قيس يكنى أبا سليمان،والقرية أمه ، وهو من بنى هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر ، وكان لسنا خطيبا ، وكان مع الحجاج فقتله لسبب اتّهمه فيه بميل إلى ابن الأشعث . ت ٨٤ ھ .
المعارف ٤٠٤ والطبرى والكامل فى التاريخ فى أحداث عام ٨٤ والنجوم الزاهرة ١/٢٠٧ وفيات الأعيان ١/٢٥٠ وشذرات الذهب ١/٩٣ ومروج الذهب ٣/١٤٧ وفيه كانت وفاته سنة ٨٢ ھ والأعلام ٢/٣٧ .

باب

غَسْلِ اليد

* * *

* – قد اصْطَحَ النَّاسُ على إجلالِ رُؤسائِهم ومُلوكِهم [٤٨ – ظ] عنْ غَسْلِ أيديهم بِحَضْرَتِهم ، واستجازُوا ذلك مع نظرائِهم ومن يَسْقُطُ التحفُّظُ بينه وبينهم .

* – ولو آثر الناسُ الاعتزالَ لغسلِ الأَيدى من الغَمَرِ (١) مع كلِّ طبقةٍ حتى لا يَرى بعضُهم بعضًا لكان ذلك عندى أَلْيقَ بالظريفِ ، وأشدَّ إمكانًا لما يَحتاجُ إليه من استقصاءِ الغُسل ، والمبالغةِ فى التنظيف ، وإجالةِ الأَنامِلِ فى اللَّهَوَاتِ ، والخلال فى الأَسنان ، وتَفْله [٤٩ – و] وما أشبه ذلك مما لا يَشُكُّ أحدٌ أن سَتْرَهُ عن عين المحبِّ ، والمُبغِضِ ، والرفيع ، والمتواضِع ، أحمدُ من إطلاعِهِ عليه (٢) .

* – ومُحَالٌ أن يكون الرؤساءُ والملوكُ ذهبوا غيرَ هذا المذهب ، وأن يُظن بهم فيه الكِبْرُ ، ويُوهم عليهم العُجْبُ ، وإن المرءَ ليتأَذَّى (٣) أن يرى ذلك من نَفْسِهِ ، فكيف من غيرِه !

* – وربما يُحسِنُ الرئيسُ ويُجملُ فيقول (٤) لنديمه : إغْسِلْ يدَكَ

---

(١) الغمر : بفتح الأولى والثانى : ما يعلق باليد من الدسم .

(٢) فى ص « عليها » واعتدت ما فى م ط .

(٣) فى م.« يتأذى » .

(٤) فى ص « فقال » ، واعتدت ما فى م ط .

مكانك ، ولا تنزعجْ [٤٩ ـ ظ] ، فالغبىُّ يتغنّمُ ذلك ، والفطِنُ يأباه ، ويُغلِّب الأَدب ، فيخف على الأَدب ، ويستفيد الحظوةَ ، ويأْمَنُ الأَول التّثْقيل فيثقل .

* ـ ولو كان الحكمُ فى هذا يُوجبُ من الترتيبِ فيه والاجتماعِ عليه مثلَ ما تُوجبُهُ المؤاكلةُ لحَسُنَ أن تجتمعَ الأَيدى فى الطَّسْتِ الواحدة ، كما تجتمعُ فى مائدةٍ واحدة .

* ـ هذا بَعْدَ الطعامِ فأَما قَبْلَهُ فجائِزٌ أن تُغسلَ اليدُ [٥٠ ـ و] بين يدى الرئيس والنظير فى طستٍ واحدة .

* ـ وغسل رجُلٌ مع المأْمونِ يدَه ، وأبطأَ الطعامُ ، فسبَقَتْهُ يدُه إلى رأْسِهِ ، فقال له المأْمون : أعِدْ غَسْلَ يدك (١) (وقال : لا يلى غَسْلَ اليدِ) (٢) إلا الخُبْز .

* ـ وقال : رئيسُ سُنَنِ العربِ المضمضةُ ، والسّوَاكُ ، والاستنجاءُ ، ورئيسُ سننِ العجمِ الخِلال ، وغَسْلُ اليد قبلَ الطعامِ .

* ـ وسبيلُ ربِّ المنزلِ أن يبتدئَ بِغَسلِ اليدِ ، فيكون [٥٠ ـ ظ] أوَّلًا قبلَ الطعام ، وآخرًا بعده ، ينفى (٣) فى الأَول حشمتهم ، وفى الحالة الثانية يتوخّى تعجيل إماطةِ أذى الغَمَرِ عن أيديهم .

---

(١) فى ص « اليد » واعتمدت ما فى م ط .
(٢) ما بين القوسين زيادة من م ط .
(٣) فى ط « ويبقى » ، وفى ص « وينفى » ولا معنى لهذه الواو .

* - هذا مع الأَكْفَاءِ والمعاشرين ، فأَما العظماء من ذوى السلطانِ فَالأَوْلَى بمنادمتهم المبالغةُ فى التخفيف عن أَعْيُنِهم وقلوبهم ، والتناهى فى إعظامِهِم وتَبْجيلِهم .

فأَما الخلالُ والانفرادُ به ، والتَّخلِّى له فأَصْوَنُ (١) وَأَحْسَنُ على كلِّ حال .

* * *

(١) فى ص «أصون» ، واعتمدت ما فى م ط ليصح الأسلوب .

باب
إدارة الكأس

* — فأمّا حُكمُ الكأسِ فى إدارتها فإنَّ الأدبَ فيه مُوافقٌ لسنَّةِ الإسلامِ ، ومذهب الجاهلية ، لم يغيروه ، ولم يبدل به ، لأنه رُوى عنه صلى الله عليه وآله(1) وسلم أنه أُتى بسقاءٍ من لبنٍ ، فشرب منه ، وكان عن يمينه غلامٌ حديث(2) السِّنِّ ، وعن يساره رجلٌ من مشيخة أصحابه ، فدفعه عليه(3) السلام [51 — ظ] إلى الغلام ، وقال : « الأيمن فالأيمن » .

ومما يدلُّ على مذهب الجاهليةِ فى مثل هذا قول عمرو بن عدى(4) ، وجماعةٌ من العلماء ينسُبُون ذلك إلى عمرو بن كُلثوم(5) : [الوافر]

---

(1) فى م ط سقط قوله « وآله » .

(2) فى م ط « حدث » .

(3) فى ط سقط « عليه » .

(4) هو عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى ، أول من ملك العراق ، من اللخميين فى الجاهلية ، وهو الذى قتل الزباء قاتلة خاله جذيمة ، وكانت إقامته فى الحيرة ، وهو أبو ملوك الحيرة الذين كان آخرهم النعمان بن المنذر الذى قتله كسرى ، وفى ص « عمر بن عدى » والتصحيح من م ط والمصادر التى ستذكر بعد .

معجم الشعراء 10 والمعارف 618 والأعلام 5 / 82 وما فيه من مراجع .

(5) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، يكنى أبا الأسود أو أبا عمير ، وهو فارس شاعر مقدم ، سيد أحد فتاك العرب ، وهو الذى قتل عمرو بن هند ملك الحيرة فى قصة مشهورة .

الأغانى 11 / 52 والشعر والشعراء 1 / 234 وطبقات ابن سلام 1 / 151 ومعجم الشعراء 6 والخزانة 3 / 183 وشرح القصائد السبع الطوال 369 وجمهرة أشعار العرب 1 / 387 ومسائل الانتقاد 97 وسمط اللآلى 2 / 635 والأعلام 5 / 84 وما فيه .

تَحِيدُ الْكَأْسُ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو ... وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا(١)
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْـــرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِى لَا تَصْبَحِينَا(٢)

* * *

(١) البيتان نسبا فى معجم الشعراء ١٠ والأغانى ١٥ / ٣١٤ والعمدة ٢ / ٢٨٣ إلى عمرو ابن عدى ، وفيها « صددت الكأس . . » وفى الجمهرة « صرفت الكأس . . » ، والبيتان ساقطان من معلقة عمرو بن كلثوم فى شرح القصائد السبع الطوال للأنبارى . وفى م ط « لكاس » بإسقاط الألف .

(٢) فى ص « بصاحبك التى . . . » والتصحيح من المصادر السابقة ومن م ط .

باب

الإكثــار والإقــلال

* * *

* — ومما يَغلطُ فيه أكثرُ المنادمين ، وجمهور المتعاقرين [٥٢ — و] افتتاحُ الشّرب بالقدحِ الصغير ، والترقّي منه إلى الكبير ، وهم بالابتداء بالكبير في حال جِمَامِهم وحاجتِهم إلى هَضْمِ طعامهم وأبين مجلسهم أولى ، حتى إذا تَرنَّحُوا وانتَشَوْا كانوا بالنزول إلى الصغيرِ أوْلى ، وبالإبقاء على عقولهم أحْرَى .

وربما لم يكن غناؤُهم ممتعاً فيُعَفى تعجيلُهم الطَّرب بالكبير على تقصيره ، ويُغَطِّى ارتياحُهم على عيوبه ، ولو صادفهم على غير [٥٢ — ظ] تلك الحال ألحقهم الفتُور ، وقلَّ نشاطُهم للكبير .

* — فأما الإكثارُ والإقلالُ فليس النديمُ فيهما مختارًا ، ولا عَلِمْنَا أحدًا تبيَّن منه كبير بخلٍ على النبيذ .

* — والأغلبُ على أكثرِهم إجبارُ النديم على الشُّربِ ، والحَيْفِ عليه ، واستثقاله إذا تأبَّى وامتنع ، أو تمنع .

* — ولا عيبَ على النديمِ في السُّكْرِ إذا كان مجبورًا عليه كما

وَصَفْنَا . وتُغفرُ له فَرَطَاتُهُ فيه(١) وعثراتُه [٥٣ـ و] كما قال العَطَوِى (٢) : [الوافر]

فَمَنْ حَكَّمْتَ كَأْسَكَ فِيْهِ فَاحْكُمْ ... لَهُ بِإِقَالَةٍ عِنْدَ الْعِثَارِ(٣)

وكما قال علىُّ بنُ الجَهْمِ (٤) : [البسيط]

وَالْقَوْمُ إِخْوَانُ صِدْقٍ بَيْنَهُمْ نَسَبٌ ... مِنَ الْمَوَدَّةِ لَمْ يُعْدَلْ بِهِ نَسَبُ

تَنَازَعُوْا دِرَّةَ الصَّهْبَاءِ بَيْنَهُمُ ... وَأَوْجَبُوا لِرَضِيْعِ الْكَأْسِ مَايَجِبُ(٥)

لا يَحْفَظُونَ عَلَى السَّكْرَانِ زَلَّتَهُ ... وَلَا يَرِيْبُكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رِيَبُ

* ـ والأَصلُ فى هذا ما يُحكَى عن المأْمونِ من قوله :[٥٣ـ ظ] النَّبيذُ بِساطٌ فإِذا رُفِعَ فَاطْوُوه .

* ـ إِلَّا أن يكونَ النديمُ هو المستدعى للشُّرب ، والمواصل للتَّخبِ من غير ثقةٍ منه باحتمالِ ذلك فيَلزمُهُ التَّبِعة ، وتعصب به الجريرة :

---

(١) فى م ط سقط « فيه » . (٢) سبقت ترجمته .

(٣) البيت بنصه فى معجم الشعراء وهو تاسع أبيات فى زهر الآداب ١/٤٤٨ ، وفيه « ومن حكمت » .

(٤) هو على بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود . . . القرشى ، يكنى أبا الحسن ، كان شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر ، عذب الألفاظ ، وخص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ، ثم غضب عليه ونفاه إلى خراسان ، فلما وصل إلى شاذ ياخ حبس ثم صلب مجرداً نهاراً كاملا ، وقد أكثر الشعراء فى هجائه لانحرافه عن آل البيت رضى الله عنهم . ت ٢٤٩ هـ .

الأغانى ١٠/٣٦٦٧ ط الشعب ومعجم الشعراء ١٤٠ والموشح ٥٢٧ وطبقات ابن المعتز ٣١٩ ووفيات الأعيان ٣/٣٥٥ وسمط اللآلى ١/٥٢٦ وتاريخ بغداد ١١/٣٦٧ ومسائل الانتقاد ١٣٩ وديوانه .

(٥) فى الديوان ١٠٦ « تراضعوا دره . . » .

* — فأما الرئيس ذو الملك والأمر النافذ فلو كان السُّكْرُ أو مقاربتُهُ حلالاً لا اختلاف فيه لكان عليه حراماً لا اختلاف فيه ؛ لأن بَادِرتَهُ إلى نفسه [٥٤ — و] وغيره لا تستقال(١) وأمرُهُ لا يُراجع ؛ لأنه يَقْهرُ ولا يُقهر ، ويَحجرُ ولا يُحجرُ عليه ، وقلما سمعنا بحادثة فظيعة ، وغدرة قبيحة ، وسطوةٍ عظيمة استجازها(٢) ملك ، وجناها على نفسه ، أو نديمه ، أو حميمه ، أو سائر(٣) مَنْ يخصُّه ، إلا على سُكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ، ويلحقه مالا يتلافاهُ من العارِ والمسبَّةِ .

* — فممن تهيَّأ عليه ذلك من ملوكِ الجاهلية [٥٤ — ظ] جذيمة بن مالك الأبرش(٤) صاحب الحيرة ، وخبره مشهور .

* — ومن ملوكِ الإسلامِ الوليدُ بنُ يزيد بن عبد الملك(٥) ،

---

(١) فى ص « لا يستقال » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م ط .

(٢) فى ص « استجارها » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٣) فى ص « أو من سائر » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٤) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وكان يقال له الأبرش ، والوضاح ؛ لبرص كان به ، ملك الحيرة بعد أبيه ، كان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه ، وينادم الفرقدين ، فإذا شرب قد صاحب لهذا قدماً ولهذا قدحاً ، وهو أول من عمل المنجنيق ، وأول من حذيت له النعال ، وأول من رفع له الشمع .

المعارف ٦٤٥ والأعلام ٢ / ١١٤ وما فيه من مراجع .

(٥) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، يكنى أبا العباس ، بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك ، وكان ماجناً سفيهاً يشرب الخمر ، ويقطع دهره باللهو والغزل ، سار إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتله ، وقتل مع الوليد ابناه الحكم وعثمان ، وكان يقال لهما الحملان ، ت ١٢٦ هـ .

المعارف ٣٦٦ والأغانى ٧ / ٢٤٤١ ط الشعب وخزانة الأدب ٢ / ٢٢٨ ورسالة الغفران =

فإنه لم يزل يُهملُ الأمورَ ، ويُواصلُ السُّكْرَ مصطبحًا ومغتَبِقًا(١) حتى انتشرَ أمرُه واضطربَ حبلُه ، فقُتل وجماعةٌ كثيرة ، كان السبب في هلاكهم وهلاك مَن يخصهم اختيارهم السُّكْر ، ومطالبتهم به ندمانهم ، ولو ذهبنا إلى تعدادهم ، [٥٥ – و] وشَرْح قصصهم لخرجنا بالكتاب عن حده .

* * *

= ٤٤٣ وتاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ فى أحداث عام ١٢٦ هـ، ومروج الذهب ٣/ ٢٢٤ والنجوم الزاهرة ١/ ٢٩٧ ، وفوات الوفيات ٤/ ٢٥٦ ، والأعلام ٨/ ١٢٣ وما فيه من مراجع .

(١) فى ص « ومعتبطا » واعتمدت ما فى م ط .

باب

طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ

* * *

* – ويقبُحُ بالنديم أن يَسْتَمِيْحَ(١) الرئيسَ على سُكْرِهِ ؛ فإنه يرى أن ذلك يجرِي مجرَى الخديعةِ ، ويدخلُ في باب الحيلة .

* – وذكروا أن بعض الأجوادِ لم يكن يعطي أحدًا على(٢) الشرابِ شيئًا حتى يصحوَ [٥٥ – ظ] ؛ إشفاقًا من أن يقال : إن السُّكْرَ حَدَاهُ على السماحةِ ، وكان ذلك فيه عارضاً .

* – فإن عَدَلَ عن المسألةِ في أمرِ نفسه ، واستماحَ لغيرهِ ، كان ذلك داخلاً في باب حُسْنِ المحضرِ ، والحَضِّ على الكرمِ ، وخرجَ عن باب التغنُّم(٣) واللؤمِ ، فإنه يقال : إن كثرةَ الأَخذ لؤمٌ ، كما أن كثرةَ الإعطاءِ كرم .

* – وكان العتَّابِي(٤) واقفا بباب المأْمون فجاء يحيى بن [٥٦ – و] أكثم(٥) فقال له العتابي : إن رأيت أن تُعلِمَ أمير المؤمنين مكاني ،

---

(١) في ص « يستفتح » ، واعتمدت ما في م ط .

(٢) في ط « من الشراب » .

(٣) في ط « التفتّم » .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي ، يكنى أبا محمد ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي ، كان متقدماً في الفقه وآداب القضاة ، حسن العشرة عذب اللسان ، ولاه المأمون قضاء=

فقال : لستُ بحاجب ، فقال : قد علمتُ ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضلِ مِعْوانٌ ، فقال له : سلكْتَ بى غير طريقى(١) ، فقال له : إن الله عزَّ وجل قد أتحفَك بجاهٍ ونعمةٍ ، وهما مقيمان عليك بالزيادةِ إن شكرتَ ، وبالتغييرِ إن كفرتَ ، وأنا لكَ اليوم خيرٌ لك منك لنفسك ؛ أدعوك [٥٦ ـ ظ] إلى مافيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك علىَّ ، ولكل شىءٍ زكاةٌ ، وزكاةُ الجاهِ بذلُه للمستعين ، فدخل إلى المأمون فأخبره الخبر ، فأمر للعتّابى بثلاثين ألف درهم .(٢)

* — فأما إذا لَمْ يَشُبِ المجالسةَ والمحادثةَ النبيذُ(٣) والمراضعة ودَفَعَتْ(٤) ضرورةٌ إلى المسألةِ فالأحسنُ فى ذلك ألا يُبْتَدَأ(٥) بالسؤال محضًا وأن يُتوخَّى(٦) له [٥٧ ـ و] من الأحاديثِ والمعاريض ما يندرجُ السؤالُ فى تضاعيفِهِ على ألطفِ ما يمكن فى ذلك ، وأقربِه من النادرةِ

=البصرة ، ثم قضاء القضاء ، ويبدو أنه كان محسداً لمنزلته عند المأمون فنسبوا إليه أشياء تخالف الدين ، وأرى أنها من حسد الرواة عليه . ت ٢٤٢ هـ .

مروج الذهب ٤/٢١ وثمار القلوب ١٥٦ وتاريخ بغداد ١٤/١٩١ وفيات الأعيان ٦/١٤٧ وانظر غزواته وتاريخه فى النجوم الزاهرة ٢/٢١٧ وتاريخ الطبرى حـ ٨ ، ٩ ، والكامل فى التاريخ حـ ٦ و ٧ ، والأعلام ٨/١٣٨ وما فيه من مراجع .

(١) فى ط « سلكت معى غير طريقى » ، وما فى ص يوافق ما جاء فى مروج الذهب ٤/١٤ ، وفى م « طريقى » .

(٢) انظر القصة مع غيرها فى مروج الذهب ٤/١٤ .

(٣) فى ط « والمحادثة فى النبيذ » .

(٤) فى ط « ودفعة » .

(٥) فى م ط « ألا يبتدئ » .

(٦) فى ط « وأن يتواخى » .

والفكاهةِ ، كما فعل المفضَّلُ الضَّبِّى(١) ، وبايت المهدى ، فلم يزل يحادثه ويناشده حتى جرى ذِكرُ حَمَّادِ الرَّاوِيَةِ(٢) ، فقال له المهدى : ما فَعَلَ عياله ؟ ومن أين يعيشون ؟ قال : من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد .

* * *

---

(١) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبى ، يكنى أبا العباس أو أبا عبد الرحمن ، كان راوية علامة بالشعر والأدب وأيام العرب ، وكان قد خرج على المنصور العباسى ، ولما ظفر به عفا عنه ، ولزم المهدى وصنف له المفضليات . ت ١٦٨ ﻫ أو بعد ذلك .

المعارف ٥٤٥ وتاريخ بغداد ١٣/١٢١ والنجوم الزاهرة ٢/٦٩ ومعجم الأدباء ١٩/١٦٤ ونزاهة الألباء ٥١ والفهرست ٧٥ وبغية الوعاة ٢/٢٩٧ وإنباه الرواة ٣/٢٩٨ وطبقات النحويين واللغويين ١٩٣ والأعلام ٧/٢٨٠ وما فيه من مراجع .

(٢) هو حماد بن سابور بن المبارك ، يكنى أبا القاسم ، وكان أول من لقب بالراوية ، كما كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وكان خلفاء بنى أمية يسألونه عن أيام العرب ، ويجزلون له العطاء ، وهو الذى جمع المعلقات . ت ١٥٥ ﻫ

الأغانى ٦/٢١٥٠ ط الشعب والمعارف ٥٤١ والفهرست ١٠٤ ومعجم الأدباء ١٠/٢٥٨ ونزهه الألباء ٣٩ وفيات الأعيان ٢/٢٠٦ وخزانة الأدب ٩/٤٤٦ وأمالى المرتضى ١/١٣١ و ١٣٢ والأعلام ٢/٢٧١ وما فيه من مراجع .

باب

هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه

* * *

* – وحكمُهُ أن يحضر بزيٍّ الموكبِ ، ولبسةِ الخدمةِ ، والزيّ الظاهر الذى(١) يُعرفُ به ، ويَشهدُ فيه المجالسَ الحافلة ، من غير أن يتفضل بشىء من ثيابه ، ولا يتشهَّر ، فإن شاء الرئيس أن يغيّرَ زيه ، ويُكرمَهُ بشىء من ثيابه ، فخلع عليه الملوَّنَ والمشهرَ من [٥٨–و] أثوابِ النِّدام حسُنَ أن يلبس ذلك فى وقته حتى ينقضىَ المجلسُ ، ولم يحسُنْ أن يحضر فيه ظاهرًا فى مجلسٍ آخر ؛ لأَنه شىءٌ كان الرئيس اختاره فى ساعةِ طربه وتبذُّلِهِ لا فى كل أوقاته .

* – فأَمَّا العمامةُ والخفُّ فسبيلُه ألا يُخِلَّ بهما ، وله أن يلطفهما ويخففهما ، وإنما الغرضُ فى ملازمتهما ألا ينحسرَ الرأسُ، وتَبدوَ القدمُ .

* – ويذهبون [٥٨–ظ] بذلك إلى إجلالِ السلطانِ العظيم عن مشاركته فيما اتسع له من التبذلِ والتخيُّرِ فى الزى الذى لا مشقة ولا ثقل فيه ، والانفراد منه بما ينفصلُ به عمَّنْ هو دونه .

* – وهذا مما يُسلكُ فيه سبيلُ ملوكِ الأَعاجم ، وكانوا رسموا

---

(١) فى ط سقط « الذى » .

لكل طبقةٍ من طبقاتِ أهل ممالكهم برسمٍ من الزى ؛ ليتميزوا ، ولا يشتبه سوقةٌ بملكٍ ، ولا دنىءٌ [٥٩ــو] بشريفٍ ، ولا تابعٌ برئيسٍ .

* ــ ولكلِّ أهلِ عصرٍ زىٌّ ، إلا أن الأكثرَ والأشبهَ بأهلِ عصرنا وما قرُب منه ما ذكرناه(١) ، والحجةُ فى استحسانِهِ وإيثارِهِ ما بيَّنَّاه .

* ــ ومما يأخذُ به نفْسَهُ الإسراع فى الخطوِ إذا كان حيث يراه الرئيسُ حتى (تكون)(٢) مِشيتُهُ إرْقالاً ، ولا تكون اختيالاً ، ولهذا وما أشبهه من التحفظِ صار ندامُ النظيرِ أنعمَ وأترفَ [٥٩ــظ] وإن كان ندامُ العظماءِ أجلَّ وأشرفَ .

* ــ وخُبِّرتُ عن الطبقةِ العالية من ندماءِ الخلفاءِ الماضين أنهم كانوا يجتمعون فى منزلِ أحدهم ، فإذا مشى بعضُهم فى ذلك الموضعِ مشى مسرعاً ،وسُئِلَ أحدُهم عن السبب فى ذلك: فذكر أنه إنما يفعله فى كل موضع ، وإن كان لا يلزمه إلا فى مجلس الخليفة ؛ حذراً [٦٠ــو] من أن يخلَّ بالعادةِ ، فيعدل عنها فى موضعها ، فاستحسنت تلك(٣) الرياضة .

* ــ ومما يلزمه أن يتحفَّظَ منه أيضا ، ويروض نفْسَه به ألا يصبِّحه ، ولا يُمسِّيه ، ولا يُشَمِّته ، ولا يُسْتَخبره ، وإنما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب .

---

(١) فى م « ما ذكرنا » .

(٢) زيادة من م ط .

(٣) فى ص « ذلك » ، واعتمدت ما فى م ط .

* - وليس من حقّ المنادِمِ ذا الرياسةِ والسلطانِ إذا تبيَّنَ لنديمه منه لينُ الخلقِ ، ووطاءُ الكنف [٦٠ - ظ] وخلع ثوب الكبر أن يستعمل معه من الدَّالَّةِ ما يجحده حقَّ رياستِهِ ، ويقدح معه فى سلطانِهِ ، ويفسد عليه تدبيره .

* - ويقال : ينبغى لمن خُصَّ بالسلطانِ أن يَستعدَّ للذنبِ لم يَجْنِه ، وأن يكون آنس ما كان به أوْحَشَ ما يكون منه ، فإِن سَلِمَ من ذلك كلِّه فواجبٌ عليه ألا يُخلَّ بتوقى الملالِ ، والتحرزِ من وقوعه .

وقد قال [٦١ - و] عبد الله بن جعفر(١) : من أعظمِ الخرقِ الدالَّةُ على السلطانِ .

* - وبينا(٢) المأمونُ ينادمُ ابراهيمَ بن المهدى(٣) بعد رضاهُ

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، يكنى أبا جعفر ، وهو أول مولود ولد فى الإسلام بأرض الحبشة ، وكان عبد الله كريماً ، جواداً ظريفاً ، عفيفاً سخياً ، يسمى بحر الجود ، وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً . ت سنة ٨٠ أو ٨٤ أو ٨٥ هـ .

الأغانى ٥/١٧٤٠ والموشح فى أكثر من موضع والاستيعاب ٣/٨٨٠ وفوات الوفيات ٢/١٧٠ وله ذكر كثير فى العقد الفريد والكامل للمبرد ، كما ذكر فى كتب التاريخ كالطبرى والكامل لابن الأثير . والأعلام ٤/٧٦ وما فيه من مراجع .

(٢) فى ط « وبينما » .

(٣) هو إبراهيم بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، يكنى أبا إسحاق ، وهو أخو هارون الرشيد ، ولما حدثت الفتنة بين الأمين والمأمون - وكان المأمون بخراسان - دعا لنفسه بالخلافة ، وبايعة كثيرون ، واستمرت خلافته فى بغداد ما يقرب من سنتين ، ولما توجه المأمون إلى بغداد خاف إبراهيم واختفى فترة ، وطلبه المأمون ، واشتد فى طلبه حتى عثر عليه ، وسجنه مدة ثم عفا عنه . ت ٢٢٤ هـ .

الأغانى ١٠/٣٥٥٩ ط الشعب والنجوم الزاهرة ٢/١٦٩ وتاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ فى أحداث سنة ٢٠١ هـ ومروج الذهب ٤/٢٩ - ٣٣ ووفيات الأعيان ١/٣٩ والورقة ٢٠ وتاريخ بغداد ٦/١٤٢ وأشعار أولاد الخلفاء ١٧ والأعلام ١/٥٩ .

عنه ، وتغمده ما كان منه ، تبيَّن منه دالَّةَ أذكرتهُ بما تقدم من ذنبه ، فنهض ، وأمر بإقراره ومن كان معه على جملتهم ، ثم صارَ إلى مجلس جلده ، فاستوى على سريره ، وتزيًا بزىّ الخلافة ، واختصر القضيبَ ، وتجلْبَبَ بالبردةِ ، وجمع الجنودَ [٦١ — ظ] فى السوَّادِ والأَسلحةِ ، ومُدَّ السماطان ، وشُهرت السيوفُ والأَعمدةُ ، ثم أُحضرَ ابراهيمُ معنَّفا معسوفًا ، فلما مَثَلَ بين يديه أطرق عنه مليًا ، ثم رفع رأسه ، وابراهيم يَرْعَدُ ، فقال : يا إبراهيم ، ما حملكَ على ما كان منك ؟ قال : كرسىٌّ خلا من صاحبه يا أمير المؤمنين ، فكنتُ جديرًا بحفظه(١) عليه ، حتى أعاده اللهُ إليه ، وقد سَبقَ [٦٢ — و] من عفو أمير المؤمنين مالا أخاف عليه الحؤول عنه(٢) ، فقبل عذرَهُ ، وأحسَنَ جائزته ، وردَّهُ إلى مكانه ، وعاد المأْمونُ فى مجلس الندام من وقته .

* — وخبَّرنى أبى عن أبيه رحمهما الله قال : كان يتادم اسحاقَ ابنَ ابراهيمَ الطَّاهرىَّ(٣) جوهرىٌّ من جِلَّةِ التجار ووجوههم حتى خُصَّ به ، وتبين لطف موقعه منه ، ولم يكن [٦٢ — ظ] أحدٌ يتقدمه عنده ، وكانت فيه دَالَّةٌ(٤) ، ومعه أدبٌ يستحقٌّ له تلك المنزلة ،

---

(١) فى م « يحفظه » بالمثناة التحتية ، وهو تصحيف مطبعى .

(٢) فى م « عليه » .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبى الخزاعى ، يكنى أبا الحسن ، كان صاحب الشرطة فى بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كان صارماً سايسا حازماً ، وهو الذى كان يطلب العلماء ويمتحنهم بأمر المأمون ، وهو ابن عم طاهر بن الحسين ولذلك ينسب إليه . ت ٢٣٥ هـ .

تاريخ الطبرى حـ ٨ و ٩ والكامل فى التاريخ حـ ٦ ، ٧ وشذرات الذهب ٢ / ٨٤ والأعلام ١ / ٢٩٢ .

(٤) فى ص « آلة » واعتمدت ما فى م ط .

قال : فإنه لمعَه(٣) ذات يوم والستارةُ منصوبة ؛ إذ وُصفَ للمتوكل فصٌّ كبير جليلُ المقدارِ ، كان وقع إلى هذا الجوهرى ، فوقَّعَ إلى إسحاق بإحضارِ هذا الرجلِ ، ومطالبته بالفصِّ ، ومناظرته على ثمنه .

ووافى التوقيعُ ، فلما نظر إليه دعا بالجلَّادين والسِّياطِ ، [٦٣ ـ و] فأمر بتجريد الرجل ، فقال : أيها الأمير ، ما قصتى ؟ ما سببى ؟ فلم يذكر له شيئاً حتى نُصب بين العُقابين ، وكاد السوطُ أن يأخذه ، فلما علم أنه قد رهبَ ، وسكر(٢) قلبُه من الرعبِ والهيبة ما أنساه الدالة والمنادمة ، قال له : فصٌّ عندك من حاله وصفته ، فقال : أحضرهُ الساعة ، فيأمر الأمير بإطلاقى حتى آتيه به ، قال : لا سبيلِ إلى ذلك ، فدعا بدواةٍ وقرطاسٍ ، وكتب [٦٣ ـ ظ] وهو فى تلك الحال إلى ثقته فى منزله بعلامةٍ قوية ، وأمر بإحضاره الفص ، فأُحضر فى منديلٍ ، وختم عليه ، وأنفذه ، ثم قام بنفسه إلى الرجل فتولى حلَّ وِثاقِه ، واعتنقه ، وخلع عليه من فاخرِ كسوته .

وقال : لم يكن من حقِّ السلطان إلا ما رأيت ، ولو لم أفعلْ ذلك لما أمنتُ دالَّتَك ، ولا كنتَ تُخرجُ مثل هذه العقدة النفيسة بتمسيحِ أعطافك ، ولحقنى [٦٤ ـ و] من أمير المؤمنين ما يفسدُ حالى وحالك ، فسكن الرجل إلى عذره ، وقَبِلَه .

* * *

---

(١) فى ص « بلغة » واعتمدت ما فى م ط ، ومن معانى « لمع » « دعا » انظر اللسان والقاموس

(٢) فى ص « وسكن » واعتمدت ما فى م ط .

باب

ما يلزم الرئيس لنديمه

* * *

* ــ قد ذَكَرْنا من حالِ الرؤساءِ فيما يَسْتَبِدُّون به دُونَ ندمائِهم بمحلِّ السلطانِ ، وخطرِ الرياسةِ ما أوْجَزْنَاهُ ، وليست تلك الحالُ خاصةً إلا لِلْمَمَلِكِ الأَجلِّ الذي لا يَسَعُهُ الإخلالُ بالهيبةِ .

* ــ فأمَّا مَنْ [٦٤ ظ] دُونَهُ فالإنصافُ في المنادمةِ ، وإغلاقُ بابِ التَّدَفُّعِ والتحذلقِ ، وإيثارُ الانْبِساطِ والتبذلِ أَوْلى بهم ، وأدلُّ على كرمِ العشرةِ ، وحُسْنِ الصُّحبة .

* ــ وعَلَى أنه قد كان من الخلفاءِ والأُمراءِ من يَتَوخَّى هذه الحال مع مجالسيه ومنادميه ، كفِعْلِ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز(١) ، وطرقَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ(٢) ، فنهضَ فأَصلحَ السِّرَاجَ ، وعاد إلى موضعه ،

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . . . يكنى أبا حفص ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان يقال له : أشج بنى أمية ، لأنه كان فى جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر ، ويقال له : خامس الخلفاء ؛ لأنه تشبه بهم فى العدل وحسن السيرة . ت ١٠١ هـ .

المعارف ٣٦٢ ، والأغانى ٩/٣٥٤ وشذرات الذهب ١/١١٩ ، وفوات الوفيات ٣/١٣٣ ، والنجوم الزاهرة ١/٢٤٦ ومروج الذهب ٣/١٩٢ ، وتاريخ الطبرى ٦/٥٥٠ والأعلام ٥/٥٠ وما فيه من مراجع .

(٢) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندى الشامى ، يكنى أبا المقدام ، كان شريفاً نبيلا ، وهو الذى أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز ت ١١٢ هـ .

المعارف ٤٧٢ وشذرات الذهب ١/١٤٥ ، وفيات الأعيان ٢/٣٠١ وما فيه من مراجع وتاريخ الطبرى ٦/٥٥٠ والأعلام ٣/١٧ وما فيه من مراجع .

فأكبر ذلك رجاءُ [٦٥ — و] فقال : قمتُ وأنا عمر ، وعدتُ وأنا عمر .

* — ويزيدُ(١) وكان ينادمُ الأَخْطَلَ(٢) ، وهجا الأَخطلُ الأَنصارَ(٣) هجاءً كثيرا ، فأجاره منهم(٤) ، وكان يُسَوِّى بينه وبينه فى أكرمِ المواضعِ من مجلسه وهو أمير .

* — والوليدُ بنُ عُقْبَة ، ولم يزلْ ينادمُ أبا زبيد الطَّائى (٥) ،

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، يكنى أبا خالد ، تولى الحكم بعد موت أبيه معاوية ، وفى عهده قتل الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما ، ولما خلع أهل المدينة المنورة طاعته أرسل إليهم جيشاً كبيراً وأباحها للجيش ثلاثة أيام ، وفى عهده أيضاً فتح المغرب الأقصى على يد عقبة بن نافع ، ويقال إنه أول من خدم الكعبة ، وكساها الديباج الخسروانى . ت ٦٤ هـ .

المعارف ٣٥١ ومروج الذهب ٣ / ٦٣ وانظر تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير والنجوم الزاهرة وفوات الوفيات ٤ / ٣٢٧ .

(٢) هو غياث بن غوث بن الصلت . . من نصارى بنى تغلب ، يكنى أبا مالك ، كان مقدماً عند خلفاء بنى أمية ، وكان له دالة عليهم ، ووصل به الأمر إلى أن تهكم ببعض أمور الدين . ت . ٩٠ هـ .

طبقات ابن سلام ١ / ٤٥١ والشعر والشعراء ١ / ٤٨٣ والأغانى ٨ / ٣٠٢٦ ط الشعب والموشح ٣١١ وخزانة الأداب ١ / ٤٥٩ وجمهرة أشعار العرب ٧٢٠ والاشتقاق ٣٣٨ والعمدة ١ / ٤٤ ونوادر المخطوطات ٢ / ٣١٧ ، ونهاية الأرب ٣ / ٧٣ ، ومعاهد التنصيص ١ / ٢٧٢ وسمط اللآلى ١ / ٤٤ ومسائل الأنتقاد ١١٣ وديوانه والأعلام ٥ / ١٢٣ وما فيه من مراجع .

(٣) فى ط « الأقصار » ، وفى م « الأتصار » وهو تصحيف فى الحالتين .

(٤) كان مما قاله فى الأنصار ما جاء فى الشعر والشعراء ١ / ٤٨٤ قوله :

ذهبت قريش بالسماحة والندى ... واللؤم تحت عمائم الأنصار
فذروا المعالى لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بنى النجار

وانظر فيه شكاة الأنصار .

(٥) هو حرملة بن المنذر أو المنذر بن حرملة ، من طيئ ، وكان جاهلياً قديماً ، أدرك الإسلام ، واختلف فى اعتناقه الإسلام وكان من المعمرين ، وكان ينادم الوليد ويشرب معه الخمر ، ولما علم بذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل الوليد عن الكوفة وحده فى الخمر .

طبقات ابن سلام ٢ / ٥٩٣ والشعر والشعراء ١ / ٣٠١ والأغانى ١٢ / ١٢٧ وسمط اللآلى ١ / ١١٨ وخزانة الأداب ٤ / ١٩٢ والمعمرون والوصايا ١٠٨ ، ومعجم الأدباء ١٠ / ١٩١ ، وتاريخ الطبرى ٤ / ٢٧٣ والكامل فى التاريخ ٢ / ٤٣٩ و ٣ / ١٠٥ .

والياً ومعزولاً على وتيرةٍ واحدةٍ من الإنصافِ لا ينتقلُ عنها ، ويُجلّه ويعظِّمُهُ ، ولا يُقدِّم أحدًا عليه ، حتى دلك أبو زبيد [٦٥ — ظ] فوجَدَ عليه وجدًا شديدًا ، ثم اعتلَّ ، فيقال : إنه دُفِنَ إلى جانبه ، ومرَّ بقبريهما أشجعُ بنُ عمرٍو السّلمى(١) ، ومعه صديقان له ، يقال لهما حمزةُ وسعيدٌ ، فوقف بهما ، ثم قال : [الوافر]

مَرَرْتُ عَلَى عِظَامِ أَبِى زُبَيْدٍ ... رَهِينًا تَحْتَ مُوحِشَةٍ صَلُودِ
نَدِيمٌ لِلْوَلِيدِ ثَوَى فَأَضْحَى ... مُجَاوِر قَبْرِهِ قَبْر الْوَلِيدِ
وَمَا أَدْرِى بِمَنْ تَبْدَا الْمَنَايَا ... بِأَشْجَعَ أَوْ بِحَمْزَةَ أَوْ سَعِيْدِ(٢)

[٦٦ — و] فيقال(٣) : إنهم ماتوا على هذا النَّسَقِ أولا أولا .(٤)

---

(١) أشجع بن عمرو السلمى ، يكنى أبا الوليد وقيل يكنى أبا عمرو ، من ولد يزيد بن مطرود السلمى ، من أهل الرقة ، قدم البصرة فتأدب بها ، ثم ورد بغداد فنزلها ، واتصل بالبرامكة ، وكان أشجع حلواً ظريفاً سائر الشعر ، وله كلام جزل ومدح رصين ، ومدح الرشيد فأكرمه أيما إكرام . ت ١٩٥ هـ .
الأغانى ١٨ / ٢١٢ والشعر والشعراء ٢ / ٨٨١ وتاريخ بغداد ٧ / ٤٥ وطبقات ابن المعتز ٢٥٠ وكتاب الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين) ٧٤ . وسمط اللآلى ٢ / ٧٤٥ ومعاهد التنصيص ٤ / ٦٢ . وخزانة الأدب ١ / ٢٩٦ وفوات الوفيات ١ / ١٩٦ ، ومروج الذهب ٣ / ٣٩٠ ، والوافى ٩ / ٢٦٥ والأعلام ١ / ٣٣١ .

(٢) فى م ط « بمن قصر المنايا » ، وفى ص كتب فوق كلمة « تبدأ » كلمة « قصر » ، وما فى ص يوافق الأغانى وفى المعاهد « تبدو » .

(٣) فى ص « فقال » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٤) جاءت القصة والأبيات فى الأغانى ١٨ / ٢٥١ ومعاهد التنصيص ٤ / ٧٥ مخالفة لما هنا ، فقد جاء هناك أن ابن أشجع السلمى قال : لما مر أبى وعماى أحمد ويزيد — وقد شربوا حتى انتشوا — بقبر الوليد بن عقبة ، وإلى جانبه قبر أبى زبيد الطائى — وكان نصرانيا — والقبران مختلفان كل واحد منهما متوجه إلى قبلة ملته ، وكان أبو زبيد أوصى لما احتضر أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ ، قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ، ويتذاكرون أحاديثهما ، فأنشأ أبى يقول : =

* — والوليدُ بنُ يزيد بنِ عبد الملك(١) (نديمُهُ أبو كامل)(٢) الذى يقول فيه : [السريع]

مَنْ مُبْـلِغٌ عَنِّـى أبَا كَـامِـل أنِّى إذَا مَا غِبْت كَالذَّاهِلِ(٣)

* — وحُكِىَ عن الرشيدِ من حُسْنِ المُجَالسةِ ، ولُطْفِ البِرِّ فى المؤاكلةِ ما يجاوزُ هذا كلَّه ، وهو أنَّ الفَزَارِىَّ قال : دخلتُ إليه بالرَّقَّةِ فى قَصْرِ الخَشَبِ ، ولم يكن معنا ثالثٌ غير مَنْ يقوم بين يديه من خاصَّةِ حشمه [٦٦ ـ ظ] فَتَحَاوَرْنَا(٤) مليًّا ، ثم أومأَ إلى بعضهم ، فجاءَ بطبقٍ كبير مُغَطى بِمنديلٍ ، فاستخرج رُطَبَةً فأَكلها ، ثم استخرج أُخرى فأَومأَ بها نحوى ، فقمتُ فتناولتُها ، وقبَّلتُ يده ، ثم أمر برفعِ المنديل ، فلما رُفع لم أرَ فى الطبقِ شيئًا ، فقال : إنه كان فيه رُطبٌ أُهدِىَ لنا من العراق ، ولات حين(٥) الرطب ،

= مررت على عظام أبى زبيـد وقد لاحت ببلقعـة صلود
وكان له الوليد نديـم صـدق فنادم قبره قـبر الوليـد
أنيسـاً ألفة ذهبت فأمسـت عظامهما تآنس بالصـعيد
وما أدرى بمن تبدا المنـايا بأحمـد أو بأشجع أو يزيـد

قال : فماتوا والله كما رتبهم فى الشعر ، أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد .

(١) سبقت ترجمته .

(٢) زيادة من م ط . وأبو كامل هو أحد المغنين الذين كانوا يلازمون الوليد بن يزيد ، ولا يكادون يفارقونه ، ولم أجد أسمه الصريح إلا فى صفحة واحدة فى الأغانى ٧ / ٢٠١٤ ط الشعب ، وذلك فى أثناء حديث الأصفهانى عن الأبيات التى أولها :

سـل هم النفس عنـا بعلنـداة عـلاة

فقد قال : الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك والغناء لأبى كامل عزيل الدمشقى ماخورى .

(٣) فى م ط « أيا كامل » وهو تصحيف .

(٤) فى ص « فتجارينا » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٥) فى م ط « ولا تحين » .

ولم يكن بقى غير ما رأيتَ ، فعلمتُ أنه أمَرَ بتعظيمه(١) لئلا أرى قِلَّته ؛ فأمتنعَ من أكل الرُّطَبة [٦٧ – و] التى ناولنيها ، وأُوفِرها عليه .

* – وقدْ رأينا جماعةً من جِلَّةِ الرؤساء ، وعظماء أصحابِ السلطان يَبْتَذِلُون أتباعَهُمْ ، ويمتهنُونَهُمْ فى الخدمة(٢ فيما يرفعون عن مثله بَعْضَ مماليكم ، فإذا خَلَوْا معهم للمنادمةِ٢) اسْتَوَتْ بهم العشرةُ ، فأوْسَعُوهُم من البِرِّ(٣) والتكرمةِ ، وربما تجاوزُوا فى ذلك الحدَّ فَخَدَمُوهُمْ ، وأخدموهم أولادَهُمْ ، وانتصبوا [٦٧ – ظ] وَأتكَئُوهُمْ(٤) ، وتأخَّرُوا فى المجلسِ وصَدَّرُوهُمْ ، فلا يَقْدحُ ذلك فى رياستهم ، ولا يحطُّ من منزلتهم بأن تسترق لهم قلوبهم ، ويستخلص به نياتهم .

* – وأنشدنى منشد(٥) : [السريع]

فَتًى إِذَا مَا الْحَرْبُ قَامَتْ بِهِ قَامَ مَقَـامَ الأَسَدِ الْـوَرْدِ
كَأَنَّـهُ عَبْـدٌ لإِخْـوَانِهِ وَلَيْسَ فِيـهِ خُلُقُ الْعَبْـدِ

* – وقال آخـر(٦) : [الطويل]

---

(١) فى م ط « بتغطيته » .
(٢ – ٢) ما بين الرقمين ساقط من ط .
(٣) فى م (من المبرة »
(٤) فى ص « وأتكووهم » ، وفى ط « وأنكوهم »
(٥) لم أعرف القائل .
(٦) جاء البيت فى البيان والتبيين ٣ / ٣٠٩ آخر ستة أبيات ، وفى شرح ديوان الحماسة =

وَإِنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَادَامَ نَازِلاً ... وَمَا فِىَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمِ الْعَبْدِ(١)

* — [٦٨ — و] ويَلْزَمُهُ أَلَّا يسقيَه من غيرِ ما يَشْرَبُهُ إلا باختياره ، واستدعائه شرابا يستصلحهُ ، ويرى أنه ملائمٌ(٢) لجسمه ، فيسقيه مما يلتمسه من مَوْجُودِه ، ولا يمنعه كلما يستزيده من المزاجِ ، ولو لم يتجنبْ ما ذممناه فى تلوينِ الشرابِ إلا لِمَا سار فى هذا المعنى من قول الشاعر(٣) : [المتقارب]

رَأَيْتُ نَبِيـذَيْنِ فِى مَجْلِسٍ ... فَقُلْتُ لِإِخْوَانِنَا : مَا السَّبَبْ ؟

[٦٨ — ظ] فَقَالُوا : الَّذِى نَحْنُ فِى بَيْتِهِ ... يُفَضِّـلُ قَوْمًا لِسُـوءِ الأَدَبْ

وقال العَطَوِى (٤) : [المتقارب]

نَبِيـذَانِ فِى مَجْلِسٍ واحِـدٍ ... لِتَفْضِيلِ مُثْرٍ عَلَى مُعْسِرِ (٥)
فَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَا فِى الطَّعَامِ ... لَزِمْتَ قِيَاسَـكَ فِى الْمُسْكِرِ

= ٤ / ١٦٦٨ آخر أربعة أبيات ، تحت عنوان : « وقال آخر » فيهما ، ولكن محقق الكتابين ذكر أن البيت لحاتم الطائى . وفى الأغانى ١٤ / ٧١ والكامل للمبرد ٢ / ١٧٩ جاء البيت مع غيره منسوباً إلى قيس بن عاصم المنقرى .

(١) فى الأغانى : « وإنى لعبد الضعيف من غير ذلة . وما بى . . . » وفى الكامل « ما دام ثاويا . . . وما من خلالى غيرها شيمة العبد » وفى البيان والتبيين « ما دام ثاويا . . . من شيمة العبد » .

(٢) فى ص « ملا أمة » . اعتمدت ما فى م ط .

(٣) لم أعرف القائل ، وفى هامش م كتب « قوله : ولو لم ألخ جواب لو محذوف تقديره لكفى مثلا » . وأقول : هذا أمر معروف . لمن درس النحو والتفسير .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) فى ط « متر » بالمثناة الفوقية وهو تصحيف .

* — وكان بعضُ الكرماءِ يأخذُ نفْسَهُ بإحضارِ الدّنّ بطينه فيصبُّهُ حيثُ يراه إخوانُهُ ومنادموه . فيَبْزُلُهُ بين أيديهم ويملأُ(١) منه الآنية حتى يتبيَّنوا أن الشرابَ [٦٩ — و] واحدٌ لا خلْطَ فيه .

* — ومن أبْيَن الإنصافِ فى هذا البابِ أن يُفْرَدَ كلُّ نديمٍ بآلتِهِ ومزاجِهِ ، ويُحكَّمَ على نفسه . ويُقَلَّدَ سقيها على حسب طاقته واحتماله . إلا مَنْ كان مُتَجَمِّلًا غير متسعٍ فى الآلة والآنيةِ ، فمهما (٢) أعجزهُ وتعذَّر عليه مِنْ ذلك فإن العدلَ فى (السَّقْيِ) (٣) يمكنه ولا يعجزه .

* — ويُستحسنُ لأبِى نُواسٍ (٤) نحو هذا : [الوافر]

وَلَسْتُ بِقَائِلٍ لِنَدِيْمِ صِدْقٍ ... وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ بِوَجْنَتَيْهِ (٥)
[٦٩ — ظ] تَنَاوَلْهَا وَإِلَّا لَمْ أَذُقْهَا ... فَيَأْخُذَهَا وَقَدْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ
وَلَكِنِّى أُجِيْدُ الْكَأْسَ عَنْهُ ... وَأَتْرُكُهَا بِغَمْزَةِ حَاجِبَيْهِ (٦)
فَإِنْ طَلَبَ الْوِسَادَ لِنَوْمِ سُكْرٍ ... دَفَعْتُ وِسَادَتِى أَيْضًا إِلَيْهِ (٧)

* — ومثلُهُ قول السَّرِىِّ بن عبد الرحمن (٨) فى ظرفاءَ مِنَ الحجازيين : [الطويل]

---

(١) فى ص « و يملؤ » ، وفى ط « و يملاء » .
(٢) فى ط « غير متسع فى الآنية ، فهما » . .
(٣) زيادة من ط .
(٤) سبقت ترجمته ، والأبيات فى ديوانه ١٢٠ .
(٥) فى الديوان « وقد أخذ النعاس بمقلتيه » .
(٦) فى الديوان « ولكنى أدير الكأس عنه . . . وأصرفها . . . . »
(٧) هذا البيت ليس فى الديوان .
(٨) هو السرى بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصارى، ولجده عويم =

إِذَا أَنْتَ نَادَمْتَ الْعُتَيْرَ وَذَا النَّدَى　　جُبَيرًا وَنَازَعْتَ الزُّجَاجَةَ خَالِدَا(١)
أَمِنْتَ بِحَمْدِ اللهِ أَنْ تُقْرَعَ الْعَصَا　　وَأَنْ يُوقِظُوا مِنْ نَوْمَةِ السُّكْرِ رَاقِدَا(٢)

* — وَخَالَفَ الحسينُ بن(٣) الضحاكِ (٤) أبا نواس فى أبياته فقال :

[مجزوء الرمل]

يَا مُدِيرَ الْكَأْسِ حُيِّيـ . .　　ـتَ عَلَى الْكَأْسِ بَدِيًّا(٥)
سَأَقُولُ الدَّهْــرَ أَحْسَنْـ　　ـتَ وَإِنْ كُنْتَ مُسِيًّا
لَسْتُ أَسْتَعْفِيكَ مِنْ حَيْـ　　ـثِكَ فِى السَّقْىِ عَلَيًّا

وفيها يقـــول :

قَـدْ حَلَبْتُ الدَّهْـرَ دَهْرَيْـ　　ـنِ خَلِيًّـا وَشَجِيًّـا
[٧٠ – ظ] فَأُرَى مِنْ عَدَمِ الصَّبْـ　　ـوَةِ وَالْكَأْسِ شَقِيًّا

= ابن ساعدة صحبة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والسرى شاعر من شعراء المدينة ،وليس بمكثر ولا فحل ، إلا أنه أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب ، كان هو وعتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف ، وجبير بن أيمن ، وخالد بن أبى أيوب الأنصارى يتنادمون .
الأغانى ٢٠ / ١٩٨ والوافى ١٥ / ١٤١ .

(١) فى ص « وذا الندى خبير » واعتمدت ما فى الأغانى و م ط .

(٢) فى الأغانى « أمنت بإذن الله » و « وأن ينبهوا من نومة . . »

(٣) فى م ط سقطت كلمة « بن »

(٤) هو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلى بالنسب أو بالولاء ، يكنى أبا على ، ويعرف بالخليع ، وهو شاعر ماجن مطبوع ، ويقال إن أبا نواس أغار على شعره فى الخمر ، وقد نادم الأمين والمعتصم ونال منهما جزيل العطايات توفى سنة ٢٥٠ هـ .
الأغانى ٧ / ٢٥٨٦ ط الشعب وطبقات ابن المعتز ٢٦٨ وفيات الأعيان ٢ / ١٦٢ وتاريخ بغداد ٨ / ٥٤ وشذرات الذهب ٢ / ١٢٣ ومعجم الأدباء ١٠ / ٥ والأعلام ٢ / ٢٣٩ .

(٥) فى م ط « على الكأس مديا » .

* — وَجَـوَّدَ بَعْضُ الكتابِ في قوله (١) : [الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَعْفٍ مِنَ السُّكْرِ صَاحِيًا إِذَا كَانَ يَهْوَى أَنْ أَصِيرَ إِلَى السُّكْرِ (٢)
وَلَكِنَّنِي أَسْعَى إِلَى السُّكْرِ وَاثِقًـا بِمَا فِيهِ إِنْ أَخْطَأْتُ مِنْ سِعَةِ الْعُذْرْ
وَإِنْ هُوَ أَعْفَانِي سَكِرْتُ وَلَمْ أَكُنْ لِأُكْثِرَ مِنْ شُرْبٍ يَزِيدُ عَلَى الْقَدْرْ

* * *

(١) لم أعرف القائـل .
(٢) فى ص « أن أطير إلى السكر » ، واعتمدت ما فى م ط .

باب
الأدب فى الشطرنج

* * *

* — وأما الشَّطرنجُ فليس غرضُنا ذِكْرَ فضائلها فنعدّ [٧١ — و] من ذلك ما نسهبُ فيه . ونأتى بما ذكره المتقدمون ، ونجتهد فى الزيادة عليه . وإنما نتوخّى التنبيه على ما يحتاجُ إليه النديمُ فى حالِ اللَّعبِ بها من الأَدبِ الذى يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته إياه (١) مجتمعين على الشطرنج ، فإنه لا يكون بينهما إلا مِسَاحَةُ الرقعةِ . ولعلها لا تزيد على الذراع كثيراً .

* — والزمانُ بينهما يطولُ فيها . فواجب على النديم أن يتحفظَ [٧١ — ظ] من نفسه . ويتعهد من أحوالِ ظاهر جسمه وباطنه ، وشاهدِهِ وغائبه ، ما يأمنُ معه أن يسبق إلى طرف الرئيس وأنفه من جهته حالٌ يذمُّها ، وليكن على أوْكد ثقة بنقاءِ (٢) فيه من الخُلُوفِ ، وثَوْبِهِ من الدنس ، ومغابنه (٣) من الدَّرَنِ بتوفية هذه الأَشياء حقَّها من التنظيفِ والتطييب .

* — وليس حقُّ نفسه عليه إذا كان عالىَ الطبقة أن يبخسها

---

(١) فى ط « إيا » .

(٢) فى ط « بنفاه » بالفاء .

(٣) فى ط « ومعاينه » . والمغابن جمع مغبن : وهو الإبط وبواطن الأفخاذ .

حظها ، ولا يحطها عن درجته ؛ توهما أن تغابيَهُ للرئيس (١ ألطفُ لمنزلته [٧٢ - و] عنده ، وأعطفُ بقلبه عليه ، كما أنه ليس من ١) الرئيس المصطفى له عليه أن يتصوره (٢) بصورةِ من يغالطه ، ويسخر منه بإعطائه ما ليس له ، وعلى أن عقولَ الرؤساء أقوى ، وفِطَنهم أرقُّ من أن يجوز عليهم مثل هذا .

* - ولم تُوضعِ الشطرنجُ على الإنصافِ والعدلِ ، ويدلُّك على ذلك أن أصلَها التكافؤُ والقيامُ إذا وفى النظر والحساب من كلا (٣) الجهتين حقَّهما .

* - وأخبرنى أبو الحسين [٧٢ - ظ] علىُّ بنُ أحمد الكنانى (٤) أن أبا بكر الصُّولى (٥) لما حضر مجلسَ المكتفى بالله (٦) أمير المؤمنين

(١ - ١) ما بين الرقمين ساقط من ط .

(٢) فى ط « يتصور »

(٣) فى ص « من كلى » (كذا) .

(٤) لم أعثر له على ترجمه .

(٥) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بالصولى الشطرنجى ، كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير ، روى عن ثعلب والمبرد وغيرهما ، وروى عنه الدارقطنى والمرزبانى وغيرهما ، كان نديماً للراضى والمكتفى والمقتدر . وله تصانيف مشهورة . ت ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ .

معجم الأدباء ١٩ / ١٠٩ وتاريخ بغداد ٣ / ٤٢٧ والفهرست ١٦٧ ونزهة الألباء ٢٠٤ ومعجم الشعراء ٤٣١ وشذرات الذهب ٢ / ٣٣٩ ومروج الذهب ٤ / ٣٢٤ ووفيات الأعيان ٤ / ٣٥٦ والنجوم الزاهرة ٢ / ٢٩٦ وإنباه الرواة ٣ / ٢٣٣ .

(٦) هو على بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل ت ٢٩٥ .

انظر الطبرى والكامل فى التاريخ فى أحداث ما بين عام ٢٨٩ و ٢٩٥ ومروج الذهب ٤ / ٢٧٥ وتاريخ بغداد ١١ / ٣١٦ .

فى ابتداءِ دخوله ، وكان قبله الماوردى(١) أثيرًا (٢) عنده متمكنًا من قلبه معجبًا (٣) باعبه ، فلما لاعبَه الصُولى بين يديه حَمَلَهُ حُسْنُ الرأيِ فى الماوردى والإلف له على نصرته ، وتشجيعه وتنبيهه ، حتى أدْهَشَ ذلك أبا بكر (٤ فى أول وَهْلةٍ ، ثم لما اتصل اللعبُ بينهما ، وقَصدَ أبو بكر ٤) قصدَهُ غلبه غلباً [٧٣ - و] لم يكد يرد عليه معه دستا ، وتبيَّنَ الحقُّ للمكتفى ، فعدل عن الهوى ، وقال للماوردى : صار والله مَاءُ وَرْدِكَ بَوْلًا (٥) .

* - وبلغَنِى أنه رأى (٦) بساتين مونقَةً ، وزهرًا حسنًا ، فقال لجلسائه وندمائِهِ : هل رأيتم منظرًا أحسن من هذا ؟ فكل قال فيه شيئًا ذَهَبَ فيه إلى مَدْحِهِ ، ووصْفِ محاسنه ، وإنها التى لا يفى بها شىءٌ من زهراتِ الدنيا ، فقال : لِعبُ (٧) الصُولى أحسنُ من هذا الزَّهرِ ، ومن كلِّ ما تصفون .

* - [٧٣ - ظ]ومِمَّا يُستعملُ على الشطرنج النوادرُ المدهشةُ ،وأقولُ : إنها فى تلك الحالِ بمنزلةِ الارتجاز الذى يستعمله المقاتلُ عند اللقاءِ ، (والحادى

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .
(٢) فى ط « وكان قبله الموردى » وفى ص « كبيراً » واعتمدت ما فى م ط .
(٣) فى ص « متعجباً » ، واعتمدت ما فى م ط و مروج الذهب .
(٤ - ٤) ما بين الرقمين ساقط من ط .
(٥) انظر القصة فى مروج الذهب ٤ / ٣٢٤ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٥٩ نقلا عن مروج الذهب .
(٦) يتضح من الضمير فى « رأى » أن الرائى هو المكتفى بالله ، وفى مروج الذهب ووفيات الأعيان أن الرائى هو « الراضى » انظر مروج الذهب ٤ / ٣٢٤ وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٩ .
(٧) فى ص م ط « كعب الصولى » واعتمدت ما فى مروج الذهب ووفيات الأعيان ، ويبدو أن الناسخ قد مد فتحة اللام فصارت رأساً لكاف .

عند الإعياء ، والماتحُ عند الاستقاء) (١) ، فهى من عُدَّةِ اللاعبِ ، كما أن الشعارَ والاتجازَ من آلةِ المحاربِ ، وقد قيل فى ذلك (٢) :

[السريع]

كَمْ مِنْ ضَعِيْفِ اللَّعبِ كَانَتْ لَهُ عَوْنًا عَلَى مُسْتَحْسَنِ الْقَمْرِ

* — ولستُ استحسنُها إلاَّ فى موضعين : أحدهما : عند وقوفك [٧٤ — و] على الضَّرْبةِ الغريبةِ الحسنةِ الدقيقةِ وإمكانها إياك بأن يكون اللعبُ الك وفى يدك مثل الشجاعِ الذى إذا رأى مساغًا لِنَابَيْهِ صمَّمَ .

* — وإنْ شغلت نفسك بتلك الأَعابيثِ ، وأنت محتالٌ للَّعبِ (٣) مرتادٌ للغلبِ انقطعتَ بذلك عن الصوابِ .

وإن لم يكن اللعبُ فى يدك نَبَّهْتَ بما تُظهر فى ذلك العبثِ من نشاطِ خَصْمِك على تفقدِ ما لاحَ الك فتحرَّزَ منه .

والآخر : عند وقوفك [٧٤ — ظ] على إمكانِ الضربة الجيدةِ صاحبك وتهيئها (٤) له دونك ، فأنت بما تستعمله (٥) فى تلك الحالِ تَشْغَلُه وتدهشُهُ حتى يكاد يعمى عن رشدِهِ .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من مروج الذهب و م ط .

(٢) هذا البيت جاء ثانى بيتين فى محاضرات الأدباء ٢/٧٢٧ ومروج الذهب ٤/٣٢٦ بدون نسبة ، والبيت الأول هو :

نوادر الشطريج فى وقتها أحر من ملتهب الجمر

(٣) فى ط « اللعب » .

(٤) فى ص « يهيؤها » ، واعتمدت ما فى م ط .

(٥) فى ص « يستعمله » بالمثناه التحتية ، واعتمدت ما فى م ط .

* – وَإِنْ(١) كان القَمْرُ لك فأَحسنُ أحوالك التَّرْكُ على الإحسانِ إن كنتَ مختارًا ، وكذلك إن اتصلَ القَمْرُ عليك ؛ لأَنَّ الإلحاحَ واللجاجَ لا يزيدك إلا بلادة .

* – وقد قيل فى الشطرنج أشعارٌ كثيرةٌ ، فأَما طوالها فكَثُرَ فيه الحشوُ بما اضطرَّ إليه [٧٥ – و] القائلُ من الاقتصاصِ ، وقلما اقتُصَّت حالٌ فى شعرٍ إلا كان مضعوفا ، إلا أبياتًا كَثُرَ الشكُّ فيمن تُعْزَى إليه ، وأولها (٢) : [البسيط]

أَرْضٌ مُرَبَّعَةٌ حَمْرَاءُ مِنْ أَدَمٍ مَا بَيْنَ خِلَّيْنِ مَوْصُوفَيْنِ بِالْكَرَمِ (٣)
تَذَاكَرَا الْحَرْبَ فَاحْتَالَا لَهَا شَبَهًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَا فِيْهَا بِسَفْكِ دَمِ (٤)
هَذَا يُغِيرُ عَلَى هَذَا وَذَاكَ عَلَى هذا يُغِيرُ وَعَيْنُ الْحَرْبِ لَمْ تَنَمِ (٥)
فَانْظُرْ إِلَى الخَيْلِ قَدْ جَاشَتْ بِمَعْرِفَةٍ فِي عَسْكَرَيْنِ بِلَا طَبْلٍ وَلَا عَلَمِ (٦)

وأبياتًا تُعْزَى إلى أبى الحُسينِ أحمدَ بنِ محمدِ بْنِ [٧٥ – ظ]

---

(١) فى م « وإذا » .
(٢) الأبيات فى مروج الذهب ٤/٣٢٧ ومحاضرات الأدباء ٢/٧٢٦ بدون نسبة .
(٣) فى المحاضرات ومروج الذهب « ما بين إلفين »
(٤) فى مروج الذهب « من غير أن يسعيا فيها » .
وفى المحاضرات « من غير أن عفيا فيها » .
وفى ص م ط « فيه » واعتمدت ما فى المحاضرات والمروج .
(٥) فى المحاضرات :
هذا يغير على هذا فيغلبه وذا يغير وعين الحزم لم تنم
(٦) فى المحاضرات : « انظر إلى فطن جاشت بكرهما » .
وفى ص « إلى حيل جاشت » وفى م ط « إلى خيل جاشت » بسقوط « قد » فى الجميع ، واعتمدت ما فى مروج الذهب .

أبن البَغْلِ (١) وهى (٢) : [الطويل]

فَتًى نَصَبَ الشَّطْرَنْجَ كَيْمَا يَرَى بِهَا
غَرَائِبَ لَا تَسْمُو لَهَا عَيْنُ جَاهِلِ (٣)
فَأَبْصَرَ أَعْقَابَ الْأَحَادِيْثِ فِي غَـدٍ
بِعَيْنِ مُجِدٍّ فِي مَخِيْلَةِ هَـازِلِ (٤)
وَأَجْدَى عَلَى السُّلْطَانِ فِي ذَاكَ أَنَّـهُ
أَرَاهُ بِهَا كَيْفَ اتِّقَاء الْغَوَائِلِ (٥)
وَتَصْرِيْفُ مَا فِيْهَا إِذَا ما اعْتَبَرْتَهُ
شَبِيْهٌ بِتَصْرِيْفِ الْقَنَا وَالْقَنَـابِـلِ

* — فأَمَّا النَّرْدُ ففيها ضروبٌ من اللعب (٦) ، وصنوفٌ من الترتيبِ والنصب ، إلا أن عدد البيوتِ واحد [٧٦ — و] لا نقص فيه ولا زيادة على الأَصلِ المتعارف ، والفصَّان (٧) فيها محكمان ، وصاحبها مع ذلك — وإن لم يكن (٨ مختارًا ، وكان منقادًا إلى حكم

---

(١) هو أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي البغل ، يكنى أبا الحسين ، كان بليغاً مترسلا فصيحاً ، وكان شاعراً مجوداً مطبوعاً ، وقد استدعى من أصبهان وكان يليها للوزارة فى أيام المقتدر .
الفهرست ١٥٢ و معجم الأدباء ١٨ / ٣٥ فى أثناء ترجمة محمد بن بحر و الكامل فى التاريخ فى أحداث عام ٢٩٩ ھ ٨ / ٦٣
(٢) الأبيات فى مروج الذهب ٤ / ٣٢٧ .
(٣) فى مروج الذهب « عواقب لا تسمو » ، وفى ص « تسموا » .
(٤) فى مروج الذهب « و أبصر » ، « بعيني مجد » .
(٥) فى مروج الذهب « فأجدى » .
(٦) فى ط « ففيها أنواع اللعب » ، وفى م « أنواع من اللعب » .
(٧) فى ط سقط قوله « و الفصان »
(٨) ما بين القوسين ساقط من ط .

الفصين - محتاجٌ إلى أن يكونَ) سريعَ النقلِ رشيقه ، صحيحَ الحساب مصيبه ، حسنَ الترتيب جيده .

* – ولبعض الأُدباء فيها أبيات وهى (١) : [البسيط]

لَا خَيْرَ فِى النَّرْدِ لَا يُغْنِى مُمَارِسها
فَضْلَ الذَّكَاءِ إِذَا مَا كَانَ مَحْرُومَا (٢)
تُرِيْكَ أفْعَالُ فَصَّيْهَا تَحَكُّمَهَا
ضِدَّيْنِ فِى الْحَالِ مَيْمُونًا وَمَشْؤُومَا (٣)
[٧٦ – ظ] فَمَا تَكَادُ تَرَى فِيْهَا أَخَا أَرَبٍ
يَفُوتُهُ الْقَمْرُ إِلَّا كَانَ مَظْلُومَا (٤)

* – وكتبتُ إلى صديقٍ لى أذمُّ النردَ إليه ، وكان بها لَهِجًا ، (٥) :
[الخفيف]

أَيُّهَا الْمُعْجَبُ الْمُفَاخِرُ بِالنَّرْ — دِ لِيُزْهَى بِهِ عَلَى الْإِخْوَانِ
قَدْ لَعَمْرِى حَرَصْتُ جُهْدِى عَلَى قَمْ — رِكَ لَوْ لَمْ تَوَاتِكَ الْفَصَّانِ (٦)
غَيْرَ أَنَّ الْأَرِيْبَ يَكْذِبُهُ الظَّنْ — نُ وَيُمْنَى بِشِدَّةِ الْحِرْمَانِ (٧)

---

(١) الأبيات فى مروج الذهب ٤ / ٣٢٧ دون نسبة .
(٢) فى مروج الذهب « حسن الذكاء » .
(٣) فى مروج الذهب « بحكمهما » .
(٤) فى مروج الذهب « أخا أدب » .
(٥) الأبيات فى مروج الذهب ٤ / ٣٢٧ مع اختلاف فى الترتيب ، وانظرها فى ملحق الديوان بتحقيقنا .
(٦) فى م ط « ليت كذا لو لم يأتك . . . » وفى المروج « حرصت جهدا » .
(٧) فى مروج الذهب « ويبكى لشدة الحرمان » .

وَلَعَمْرِى مَا كُنْتُ أَوَّلَ إِنْسَا نٍ تَمَنَّى فَأَخْلَفَتْهُ الْأَمَانِى
وَإِذَا جَاءَتِ الْقُضَاةُ بِحُكْمٍ لَمْ يَحِدْ عَنْ قَضَائِهَا الْخَصْمَانِ(١)

* — وأُنْشِدتُ لأَبى نواس فى النَّرْدِ (٢) : [الطويل]

وَمَأْمُورَةٍ بِالأَمْرِ تَأْتِى بِغَيْرِهِ وَلَمْ تَتَّبِعْ فِى ذَاكَ غَيًّا وَلَا رَشَدَا(٣)
إِذَا قُلْتُ لَمْ تَفْعَلْ وَلَيْسَتْ مُطِيعَةً
وَأَفْعَلُ مَا قَالَتْ فَصِرْتُ لَهَا عَبْدَا (٤)

* — انتهى بنا القولُ إلى هذه الغايةِ ، وفى بعضِ ما قدَّمْنا كفايةٌ لِذِى (٥) التمييزِ والفطنةِ ، وهداية إلى كريمِ الأَخلاقِ فى المنادمةِ ، وإن لم نكن (٦) أحطنا بما يفى بشرطنا فى التشبيث (٧) فقد نبهنا بيسيرِ ما تهيأً أن نذكره على الجليلِ ، ودللنَا بالقليلِ منه على الكثير ، ونرجو (٨) أن نسلمَ مع ما قصدنا له من الحضِّ على جميل المروءةِ ، ونهجنا من السبيلِ إلى أحسنِ العشرة مما يُمْنَى به مؤلفُ الكتابِ من المطاعنِ ، ويستهدف له من المعايبِ إن شاء الله .

* * *

(١) فى مروج الذهب « وإذا ما القضاة جاءت . . . »
(٢) لم أجد البيتين فى ديوان أبى نواس ، وهما موجودان بنصهما فى مروج الذهب ٤ / ١٠ ، عن رواية كشاجم للمؤلف .
(٣) فى ط « مأمورة » بإسقاط الواو ، وفيه سقطت كلمة « تأتى » .
(٤) فى م « فليست »
(٥) فى ط « لذوى »
(٦) فى ص « يكن » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م ط .
(٧) فى ص « التشبيب » واعتمدت ما فى م ط . والتشبث : التعلق بالشىء .
(٨) فى ص « ونرجوا » .

تم(١ كتاب أدب النديم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين . وسلم تسليماً . وحسبنا الله ونعم الوكيل ١) *

* * *

(١ ـ ١) ما بين الرقمين ساقط من ط .

(*) انتهيت من عملي في هذا الكتاب في السادس من رجب الخير ١٤٠٦ هـ — وهو السابع عشر من مارس ١٩٨٦ م وكان ذلك في منزلي بعزبة النخل ، والحمد لله أولا وآخراً . . .

فهرس الفهارس

الصفحة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأمثال

فهرس الأشعار

فهرس الرجز

فهرس الأعلام

(الهمزة)

(السين)

(الشين)

(الصاد)

(الطاء)

(العين)

(الغين)

(الفاء)

(القاف)

(الميم)

(النون)

(الهاء)

(الواو)

(الياء)

فهرس المصادر والمراجع

أخبار أبي تمام — أبو بكر الصولي — تحقيق خليل عساكر وزميله
المكتب التجاري ببيروت

أخبار الراضي والمتقي لله — أبو بكر الصولي — عنى بنشره ج هيورث دن
دار المسيرة ببيروت

أخبار الشعراء المحدثين — أبو بكر الصولي — عنى بنشره ج هيورث دن
دار المسيرة ببيروت

أدب الكتاب — أبو بكر الصولي — صححه محمد بهجة الأثرى
دار الباز للطباعة

الاستيعاب — ابن عبد البر — تحقيق على محمد البجاوى
نهضة مصر

الإسلام والحضارة العربية — محمد كرد على لجنة التأليف والترجمة والنشر

أشعار أولاد الخلفاء — أبو بكر الصولي — عنى بنشره ج هيورث دن
دار المسيرة ببيروت

الأعـــلام — خير الدين الزركلى
دار العلم للملايين

الأغـــانى — أبو الفرج الأصفهانى
ط. دار الكتب ودار الشعب

الأمـــالى — أبو على القالى دار الكتب

أمالى المرتضى — الشريف المرتضى — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
ط عيسى الحلبي

أمالى الزجاجى — الزجاجى — تحقيق عبد السلام هارون
المؤسسة العربية الحديثة

إمتاع الأسماع — المقريزى — صححه محمود محمد شاكر
لجنة التأليف

الأمثـــال — أبو عبيد القاسم بن سلام تحقيق د/عبدالمجيد قطامش
نشر جامعة أم القرى

إنباء الرواة — القفطى — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
دار الكتب

بغية الوعاة — السيوطى — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
ط عيسى الحابى

البيان والتبيين — الجاحظ — تحقيق عبد السلام هارون
الخـــانجى

تاريخ الأدب العربى — د. شوقى ضيف دار المعـــارف

تاريخ بغـــداد — الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى ببيروت

تاريخ الطبرى — الطبرى — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعـــارف

التعازى والمراثى — المـــبرد — تحقيق محمد الديباجى
مجمع اللغة العربية بدمشق

تفسير روح المعانى — الألوسى
إدارة الطباعة المنيرية

ثمار القلوب — الثعالبى — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
مكتبة نهضة مصر

جمهر أشعار العرب — القرشى — تحقيق على البجـــاوى
نهضة مصر

حسن المحاضرة — السيوطى — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
ط عيسى الحلبى

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع — آدم متز — ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة
لجنة التأليف

خزانة الأدب — البغدادى — تحقيق عبد السلام هارون
ط الهيئة والخانجى

ديوان امرىء القيس — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعـارف

ديوان البحترى — تحقيق حسن كامل الصيرفى دار المعـارف

ديوان أبى تمـام — تحقيق محمد عبد عزام دار المعـارف

ديوان ابن الرومى — تحقيق د. حسن نصار الهيئة المصرية العامة

ديوان على بن الجهم — تحقيق خليل مردم بك دار الآفاق الجديدة

ديوان مجنون ليلى — تحقيق عبد الستار فراج دار مصر للطباعة

ديوان المعـانى — أبو هلال العسكرى ط. القدسى

ديوان ابن المعتز — تحقيق د. محمد بديع شريف دار المعـارف

ديوان أبى نواس — تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى دارالكتاب العربى ببيروت

رسالة الغفران — أبو العلاء المعرى تحقيق د. عائشة عبد الرحمن دار المعـارف

زهر الآداب — الحصرى القيروانى تحقيق على محمد البجاوى عيسى الحلبى

سمط اللآلى — البكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى لجنة التأليف

السيرة النبوية — ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وزميله مصطفى الحلبى

سيف الدولة وعصر الحمدانيين — د. سامى الكيالى دار المعـارف

شذرات الذهب — ابن العماد دار الآفاق الجديدة

شرح ديوان الحماسة — المرزوقى تحقيق أحمد أمين وزميله لجنة التأليف

شرح القصائد السبع الطوال — الإنبارى تحقيق عبد السلام هارون دار المعـارف

الشعر والشعراء	ابن قتيبة	تحقيق أحمد شاكر دار المعارف
صبح الأعشى	القلقشندى	دار الكتب
طبقات الشعراء	ابن المعتز	تحقيق عبد الستار فراج دار المعارف
طبقات فحول الشعراء	ابن سلام	قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ط المدنى
طبقات النحويين واللغويين	الزبيدى	تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف
ظهر الإسلام	أحمد أمين	مكتبة النهضة المصرية
العبر	الذهبي	ط. حيدر أباد ١٣٣٣ هـ.
العبر وديوان المبتدإ والخبر	ابن خلدون	دار الكتاب العربى ببيروت
العمدة	ابن رشيق	تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية
عيون الأخبار	ابن قتيبة	دار الكتب
الفاخر	ابن عاصم	تحقيق عبد العليم الطحاوى وزميله عيسى الحلبى
الفاضل	المبرد	تحقيق عبد العزيز الميمنى دار الكتب
الفخرى فى الآداب السلطانية	ابن طباطبا	راجعه محمد عوض ابراهيم دار المعارف ١٩٢٣
فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين	د. مصطفى الشكعة	مكتبة الانجلو المصرية
الفهرست	ابن النديم	تحقيق رضا تجدد ط. طهران ١٣٩١ هـ.

فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي - تحقيق د. إحسان عباس
دار الثقافة ببيروت

الكامل المبرد تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم
دار نهضة مصر

الكامل فى التاريخ ابن الأثير دار صادر

كشف الظنون حاجى خليفة ط. استنبول ١٣٦٠ هـ.

مجمع الأمثال الميدانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
عيسى الحلبى

محاضرات الأدباء الراغب الأصفهانى دار مكتبة الحياة ببيروت

محاضرات عن الحركة الأدبية فى حلب - د. سامى الكيالى مكتبة نهضة مصر

المختار من قطب السرور ابن القاسم الرقيق - تحقيق على نور الدين المسعودى
مؤسسة عبد الكريم بتونس

مروج الذهب المسعودى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
المكتبة التجارية

مسائل الانتقاد ابن شرف القيروانى - تحقيق د. النبوى شعلان
ط. المدنى

المصون أبو أحمد العسكرى - تحقيق عبد السلام هارون
الخانجى

المعارف ابن قتيبة تحقيق د. ثروت عكاشة
دار المعارف

معاهد التنصيص العباسى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
مكتبة التجارية

معجم الأدباء ياقوت تحقيق د. أحمد فريد رفاعى
دار المأمون

معجم البلدان ياقوت دار صادر

معجم الشعراء المرزبانى تحقيق عبد الستار فراج
عيسى الحلبى

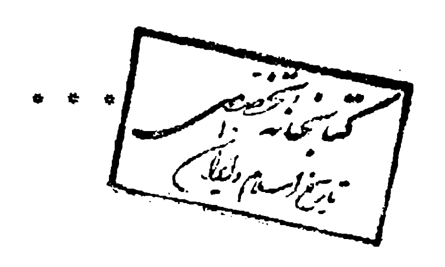
معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة ط. الترقى بدمشق	
المعمرون والوصايا	أبو حاتم السجستانى — تحقيق عبد المنعم عامر عيسى الحلبى	
من غاب عنه المطرب	الثعالبى	تحقيق د. النبوى شعلان الخانجى
الموازنة بين الطائيين	الآمدى	تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف
المؤتلف والمختلف	الآمدى	تحقيق عبد الستار فراج عيسى الحلبى
الموشح	المرزبانى	تحقيق على محمد البجاوى دار نهضة مصر
المفضليات	الضبى	تحقيق أحمد محمد شاكر وزميله دار المعارف
النجوم الزاهرة	ابن تغرى بردى دار الكتب	
نزهة الألباء	ابن الأنبارى	تحقيق د. ابراهيم السامرائى مكتبة الأندلس
نهاية الأرب	النويرى دار الكتب	
نوادر المخطوطات	تحقيق عبد السلام هارون مصطفى الحلبى	
الوافى	الصفدى	النشرات الإسلامية لمجموعة من المحقق — دار صادر
وحى الرسالة	أحمد حسن الزيات مكتبة نهضة مصر	
الوزراء والكتاب	الجهشيارى	تحقيق مصطفى السقا وزميله مصطفى الحلبى
وفيات الأعيان	ابن خلكان	تحقيق د. إحسان عباس دار صادر

* * *

فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

الصفحة



* * *

رقم الايداع ١٩٨٧/٢٤٤٠

مطبعة التقدم ت ٨٤١٤٢١

مطبعة التقدم
٤٤ شارع المراسينى بالمنيرة ت ٨٤١٤٢١